

محمد لرايشو

جوليا

رواية

الطبعة الأولى 2021

جميع الحقوق محفوظة

لا يسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو أية وسائط أخرى، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. تستثنى منه الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

العنوان: جوليا

الصنف: رواية

المؤلف: محمد لراشيش

تصميم الغلاف والإخراج الفني: محمد لراشيش

البريد الإلكتروني: artiste_med@hotmail.fr

© جمعية الفكر والإبداع الثقافي 2021

ردمك: 978-9931-851-00-4

الإيداع القانوني: أكتوبر 2021

خميس مليانة، ولاية عين الدفلى - الجزائر-

الهاتف/الفاكس: +213) 027 56 23 73

النقال/الواتساب: +213) 0791 894 843

البريد الإلكتروني: elfikrewaibdaa@hotmail.com

إهداء إلى

جوليا بورلو

Самоотверженность Юля Бурло

الإنطباع الأخير

عجزت أن تنظر مثل العرافين و تكشف ما توحيه النجوم لك و جعلت نفسك تطوف البوادي و المدن لعلك تجد حلاً، فما بين الحياة و الموت وجع غريب يصيب العاشق المهموم، تجد نفسك داخل لهب لست تدري كيف وصلت إلى هذا الحال، فكل ما تعلمه أنك استلمت رسالة مضمونها قبول دعوة نداء الوطن، حتما سترفض و تحاول التخلص من هذا الألم بشتى الطرق لأنك لا تقبل سوى بالحرية و لست تدري ما هي العواقب و تبقى على هذا الحال حتى تتخلص من السجن المفروض و تطلق سراح الحرية.

و حين تعصف الرياح بمشاعرك بلا شك ستجعل منك انساناً آخر قد تكون فناً أو أديباً، حتى و إن امتنعت الألوان والأحرف عن الانصياع لك، وفرت لوحاتك و أوراقك من مشنقة ريشتك و حبرك اللذان طالما اغتصبت عذريتهما، حتى إن لم تكن قيساً لليلي و روميو لجوليات ستكون محمد لجولياً.

ستكون أناملك سفيرة البوح فوق لوحة رسم أو ورقة كتابة، لوحة و قصيدة تتسابق فيهما الأزمنة و تتسارع فيهما نبضات الأنفاس، تثور فيهما الألوان و الأفكار، تعاتبك منحوتاتها الأدبية التي تريد التحرر من قيود العرف و الحدود، ولتكسر خطية تراجيديا الحب السرمدية.

في الأيام الأولى من ربيع روسيا البيضاء كان هناك باص يسير في خطه الوهمي ذهاباً وإياباً بشوارع مدينة مينسك، تجلس به فتاة في زاوية من زواياه، تسند رأسها على النافذة تنظر للخارج من جهة اليمين غير أبهة بما يحدث حولها لا بالداخل و لا بالخارج، تظهر بشخصيتها الهادئة و كأنها في عالم آخر، إنها معتادة على ركوبه كل صباح من أجل الذهاب إلى العمل و العودة فيه مساء، كانت تحمل في يدها هاتفاً ذكياً يبدو ذا علامة تجارية مشهورة فتحته لإعادة قراءة رسالة وصلتها ليلة البارحة حيث ستقرأها للمرة الخامسة أو السادسة أو ربما أكثر لعلها تجد حلا لتلك الشفرات و تفهم ما اختبأ بين الأحرف و ما جاء بين الكلمات و الأسطر.

كانت ليلة طويلة بانسة حزينة أو ربما كانت نهاية معضلة و حمل ثقيل، الرسالة حملت كلمات و معان رومنسية حزينة أعلنت عن نهاية لقاء لم يبدأ بعد، نهاية حب غير متبادل طالما تخلله خوف من اللقاء.

الرسالة تلك كانت الوحيدة التي تزامن وصولها يوم عيد ميلادها السابع و العشرين فلم تكن هناك هدايا أو تهاني غير تلك الكلمات و العبارات التي اختصرت في فقرة بحجمها الصغير من خمسة أسطر و لكن كلما قرأتها اكتشفت ما جاء بداخلها لتصبح أطول من ذي قبل.

كيف يمر اليوم الذي كانت ليلته شبه بيضاء بسبب رسالة
سلبية، حتما ستجعل يومك بائساً حتى وإن كان عيد ميلادك.

عيد ميلاد السادس و العشرين

*المادة 26 من قانون الحب: يحق لك أن تعشق دون طلب أي رخصة أو وثيقة تثبت أنك تتقن الحب.

الحب لا يحتاج إلى تأشيرة ليجمع بين رجل و امرأة، قد تأتي الصدفة أحياناً حتى ننسى كيف التقينا لأول مرة أو لا نتذكر متى أحببنا بعضنا فلا يمكن أن نؤرخ عيد ميلاد حبنا بالضبط.

حب امتزج بين ربيع مزهر و صيف دافئ و خريف لم يلبث طويلا طريقه شتاء قاس مثلج، حب مثل هذا بإمكانه أن يمزج بين ثقافتين مختلفتين من قارتين متقابلتين يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط و دولتين ليس بينهما علاقة دبلوماسية فكل هذا يعطي نكهة و صبغة جديدة و مميزة.

هل يمكن أن يعشق رسام فتاة شقراء من خلال رسمه صورتها بقلم رصاص بريء؟

-صورة بالأسود و الأبيض و رسمة أخرى بأقلام ملونة من أجل تذكر لون عينيها-.

هل بإمكانهما أن يلتقيا يوما؟ أن يتحديا كل الظروف والمعوقات الصعبة و يجتازا ما تنص عليه الأعراف لتقع العين في العين و تستعمل لغة العيون بدل لغة الشفاه؟.

هل هو اجس الفنان الطموح و تخيلاته الوردية للواقع يمكن أن يكون هو الواقع حقاً؟، أم ادمانه في تفكيره اليومي للفتاة الشقراء يمكن أن يسلط عليه عقوبة التعدي على الغير وتحجز كل أحلامه و تخيلاته؟.

ربما يمكنه أن يستنشق يوماً سحرها و رائحتها و هو بالقرب منها تملؤه سعادة لم يجربها من قبل و يكون بين أحضانها جالسين أمام مدفأة مليئة بحطب مشتعل في عز شتاء روسيا البيضاء، شتاء هادئ لا تسمع فيه صوت الأمطار الغزيرة و لا يظهر في التلفاز كلمة عاجل: بسبب فيضانات تشردت عدة عائلات، وفيات، خسائر بشرية و مادية.. فقط برد قارس درجته تحت الصفر، و ألبسة من جلود الحيوانات و صوفها و ريشها التي لا يمكنك أن تستغني عنها عند خروجك من المنزل، صباحاً يظهر كل شيء باللون الأبيض جراء ثلج ناعم يسد كل مسارات الطرق فلا مأوى سوى الرجوع إلى أحضان امرأة ودودة تنسيك شعور البرد القارس و كأنها لباس من أفخم الألبسة على وجه الأرض، بين أحضانها تشرب الشاي الأخضر الصيني ساخناً و تأكل من بين يديها أطباقاً متنوعة من أشهى المأكولات و تتبادل معها أحلى نغمات العشق تعزفها أنامل مشاعرك.

ما يطمح إليه محمد الرسام هو فقط أن يكون ككل أقرانه، عليه الآن أن ينتظر الخاتمة ليعرف ما يخبئه له القدر فالمستقبل المجهول أصعب من لعبة اليناصيب.

إنه يعلم جيداً أن النهاية تكشف الأمور بحقيقتها، فإما أن تكون نهاية لبداية فصل جديد أو نهاية لنهاية الفصل الأخير، ظاهرة أصبحت مألوفة عند العامة مثل خارطة مطبوعة على ورق و محفوظة في الذاكرة، ظاهرة غير طبيعية صعب علينا فهمها و من الأصعب شرحها والأكثر صعوبة من كل شيء أن تعيشها و تجربها لتصبح بشرا مثل باقي البشر، كل هذه الأمور تحدث في سكينه و تمر في فترات من الهدوء الظاهر.

بين هنا و هناك مسافة جد طويلة اختزلتها هواتنا الذكية ومواقع الكترونية أكثر ذكاء، فتذلت الصعوبات و تيسرت الزيارات و سهلت الاختيارات و توسعت العلاقات فنسجت لنا عدة حكايات و روايات.

- محمد: مرحبا، كيف حالك؟
- جوليا: مرحبا، بخير، شكرا.
- محمد: أنا من الجزائر، أنا فنان تشكيلي، ما هي اللغات التي تتحدثين بها؟
- جوليا: اللغة الروسية و البيلاروسية، الإنجليزية، نعم، لقد رأيت أعمالك، أعجبتني كثيراً.
- محمد: شكراً، وأنا كذلك رأيت جميع صورك، أعجبتني بعض الأعمال المصنوعة يدويا، هل أنت من صنعها؟
- جوليا: أه، شكرا، نعم لدي أعمال كثيرة، هذه هوابتي ولكنني أعمل بشركة نقل البضائع.
- محمد: رائع، أنت فنانة ههههه، في أي بلد تقطنين؟

- جوليا: أنا من بيلاروسيا، مينسك.
- محمد: بيلاروسيا بلد جميل، تشرفت بمعرفتك.
- جوليا: شكراً، و لي الشرف أيضاً.

بدأت علاقة التعارف عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي مع شاب طموح للسفر و العمل و الزواج من فتاة جميلة، فتبادل الطرفان رسائل إلكترونية مليئة بالحب، بالقلق، بسوء الفهم، رسائل الكترونية مليئة بالأسرار ترسل عن طريق الفضاء الأزرق كالفيسبوك أو VK و أحيانا ترسل على الفايبير أو عن طريق الأنستغرام أو الواتساب، طرق عديدة و متنوعة تختلف عن الماضي الذي يذكرنا كيف كنا نرسل رسائل تكتب على الورق و ترسل عن طريق البريد الثقيل الذي يوصلها بعد شهر، تكنولوجيا سريعة فتحت فرصا عديدة في جميع المجالات من بينها التعرف بين الشعوب و القبائل حتى أصبح بين محمد و جوليا صداقة حميمة.

صار محمد يسأل كثيرا عنها طالبا منها التعرف و التقرب أكثر وأكثر، يبدي إعجابه في كل مرة و يتفاعل مع كل منشور تضعه جوليا، حتى أنه ذات يوم بدأ في رسمها و أرسل لها رسمتها مع تمر صحراء بسكرة كعربون محبة و وفاء، فتفاجأت جوليا بوصول الهدية في يوم عيد ميلادها السادس والعشرين، فرحت بها كثيرا لأنها كانت حقا هدية مميزة.

وضعت صورة الرسمة الجميلة المرسومة بقلم الرصاص كمنشور في الأنستغرام تشكر فيه الفنان محمد، بالنسبة له

كانت لفظة طيبة جعلته يتنفس الصعداء و اعتبرها انتقال من مرحلة التعرف إلى مرحلة تبادل الأسرار الشخصية والبرامج اليومية التي كان محمد يتقن في كل مرة لخلق مواضيع جديدة والردشة فيها مما يجعل الحوارات تطول و يعبر عما يجول في صدره ليألف القلبان، قلب محمد و قلب جوليا..

كأنها خطة مدروسة كان يتبعها محمد للوصول إلى هدف مدفون بصدرة، لم يستطع البوح به لأحد كان من ضمن أعز أسرارها، لكن حتما ستكشف الأيام عنه.

كان محمد يقضي كل وقته في خلوته التي كانت تبدو و كأنها دكان قديم يملؤه الغبار وتسكنه بيوت العنكبوت أو كأنه مخزن للأثاث البالية، لم يكن يترك الورشة مفتوحة فهذه هي قاعدته الرئيسية يعتمد عليها من أجل الحفاظ على أعماله التي يفضل تركها مفروشة على الأرض و أحيانا يملأ بها فراغ الحائط فيعلقها كلها ليعيد تأملها و كأنه يجري حوارا مع كل واحدة منها فيستأنس بأعماله الفنية و لوحاته التشكيلية و يجسد كل ما جاشت به أفكاره فيملأ الفراغات البيضاء لتعكس ما بداخله من مشاعر و أحاسيس تختبئ في الأعماق.

جوليا البنت الوحيدة المدللة المحبوبة الجميلة ذات العينين الخضراوين بلون الطبيعة اللتين كانتا تتغيران حسب الضوء والمكان فيزيدان من تلك الجرعة التي تسحر عشاق الألوان والطبيعة و عشاق الهدوء إلى التمتع و التأمل. فالنظر إلى

عينها مباشرة يجعلك تدخل و تنساب إلى عالم غير مألوف
ومتاهة يستحيل حلها و الخروج منها بسهولة و أحيانا تحس
أنك تدخل غابة كثيفة الأشجار لا يصلها نور الشمس،
فيستريح عقلك بسماع أنواع من زقزقات العصافير و يأتيك
بعض الخوف من سماع الأصوات الغريبة.

فحذار، جوليا تمتلك جمالا من نوع آخر متواجد في
شعرها الطويل الكثيف كأنه شلال دافئ تستمتع برؤيته
وبالاستحمام تحته صيفا و شتاء، جوليا تمتلك كل أنواع السحر
تخطفك بابتسامتها القصيرة المحصورة بين وجنتيها الورديتين
و حتى إن أخفت وجهها بيديها ظهر سحر آخر يقطر بين
أصابعها الشفافة، فأين المفر و أنت واقف أمامها أو حتى بعيدا
عنها تظهر بجمال جسدها ذي القوام الرشيق فهي تعتني به
كأي فتاة روسية أو بيلاروسية مما يثبت وجود سحر آخر نادر
و مفقود.

ليس غريبا أن ترى البنات البيلاروسيات يعطين اهتماما
كبيرا لأنفسهن و جمال أجسادهن فذلك يعتبر جزء من
ثقافتهن، الرياضة و الأكل الصحي ضروريان فلا تجد امرأة
بدينة إلا نادراً.

الفتاة الشقراء مثقفة، خجولة جدا لا تتحدث كثيرا فهي لم
تكن جميلة فحسب حيث تمتلك من الذكاء الأنثوي ما يجعلها
تكون فتاة محبوبة، عند عاشقها أميرة و عند أبيها ملكة جمال.

نكاؤها جعلها تقرأ الرسالة الأخيرة مرات متكررة قبل الإجابة عنها بأسلوب راق و مختصر لتفادي سوء الفهم لأنه عادة ما تكون الرسائل مجردة من الاحساس، مهما حاولنا أن نقدمها في أحسن طبق غير أننا أحيانا نخطئ في فهم معظمها.

غربة الذات و البحث عن الاستئناس

* ليس الغريب غريب الأهل و الوطن إن الغريب غريب الذات و الجسد.

منذ صغرنا نتعلم كيفية اغتنام الفرص نتدرب فيها على الفرص الصغيرة حتى نصل إلى مستوى التعامل مع الفرص الكبيرة و الشبه مستحيلة و ذلك مع التقدم في السن، فالكل ينتظر فرصا تأتيه ليغتنمها و كأنه في البداية يتخيلها و يجهز نفسه ليلتقيها أو ليتعرفها عند رؤيتها، فالطفل الصغير طالما يتصنع مواضيع ليتكلم مع أبويه حول ما يدور في جعبته و هو يتخيل لعبته فيقول لهما أنه يريد شراءها أو اقتناءها و ذلك بجمع المال أو بطريقة أخرى و يتخيل أيضا أنه في نزهة و يحاول أن يفتح حديثا في ذلك فيقول لأبويه أن جارهم أو صديقه ذهب مع عائلته إلى البحر أو في نزهة إلى حديقة أو مدينة ملاهي فقط لجلب الانتباه إلى حلمه الصغير.

أما الشاب فهمه الوحيد شراء ملابس جديدة ليغازل فتاة يعرفها أو فتيات ينتظرهن على حافة الطريق، لعله يظفر بحب واحدة منهن ليتباهى بها أمام زملائه، مثله مثل الذي ربح صفقة و الآخر يحاول اقناع أبيه بشراء بذلة جديدة عند الدخول المدرسي أو الدخول الجامعي في سنته الدراسية الأولى.

و الشاب المقبل على الزواج له حلم مثل البقية، فأين يمكنه أن يصنع فرصا ليجد فتاة أحلامه و التي يراها تناسبه، لا يهم أين، في الأعراس.. في الشارع.. في العمل.. و ما أجملها الصدف، أو ربما يجرب أحيانا عبر الأنترنت فهناك فرص كثيرة فما عليه إلا أن يرسل العشرات أو حتى المئات من طلبات الصداقة لعله ينجح في واحدة و يرسل بعدها رسالة ترحيبية لعل هناك من ترد على رسالته الملغمة فيبدأ بتشغيل خطته المدروسة و يطلب من ربه أن يستجيب لدعائه كي تكون فتاة أحلامه، و بعض الشبان يعلم علم اليقين أنه هناك أملا للظفر بفتاة أجنبية من خلال الأنترنت لأن من سبقوهم وهم كثر من تزوجوا فتيات أجنبيات و هناك حتى بنات تزوجن بأجانب أو مغتربين بهذه الطريقة، فهل أصبحت موضة العصر يتسابق إليها شباب اليوم أم هناك دوافع والهروب من الأعراف و التقاليد التي أصبحت تكلف الملايين من الأموال و تنخر الأجساد من الجيوب، فقط لإقامة عرس بهيج يحضره الأصدقاء و الجيران و الأقارب.

في المقابل الفتيات الأجنبيات لا يكلفنك كثيرا بل خاتم تقدمه لفتاة أحلامك و عرسا يحضره ثلة من الأصدقاء في جلسة فطور أو سهرة عشاء و التقاط صور تذكارية.

و لكن لكل امرئ هدف يغنيه و نية مدسوسة للوصول إلى مبتغاه و اغتنامه لفرصة لطالما رسمها في ذهنه.

فالزواج في مجتمعنا أصبح مشروعا مكلفا يوضع الشاب بين اختيارين يبدو أحلاهما مرأ، إما تقبل الواقع المعتاد

والتخبط في الديون و العيش معيشة البشر، أو أن تجرب كل أنواع الهجرة و تستقبل القدر كما هو فتصبح انسانا آخر في نظر البشر.

القلوب تنبض على الدوام فهناك من ينتظر الفرص و هناك من يصنعها، و قلب محمد متوجع ينبض كله بالفرص فأبي الفرص يختار؟

حتما يختار الأجل و الأفضل و ما يناسبه، يريد الهجرة، الزواج، العمل، السياحة، كيف يجدها مجتمعة في فرصة واحدة؟.

كانت جوليا بالنسبة له أعظم فرصة لا يمكنه التخلي عنها و عليه الاعتناء بها فالفرص كالطيور إن أحست بالخطر تطير من أمامك، جوليا فتاة جميلة في بلاد جميلة، كيف تقبل به و ما هي الخطة و الطريقة التي بإمكانه أن يقنعها بأن تتزوجه، كأنه أمام أصعب عملية جراحية يجب عليه أن ينجح في اجراءها.

جوليا رسائلها قصيرة و الرد على محمد بطيء.

بعد ساعة تم الرد على رسالة محمد الذي كان يسألها عن حالها و يطمئن عليها.

- محمد: مرحبا. كيف حالك جوليا؟أتمنى أن تكوني بخير.
- جوليا: مرحبا، بخير.

يجب على محمد أن يفتح موضوعا مادامت جوليا ردت الآن على الرسالة، قلبه كان يخفق دائما مع الكلمات الأولى.

- محمد: كيف هي الأجواء في مينسك؟، أظن أن درجة الحرارة بدأت في الانخفاض؟
- جوليا: نعم بدأ تساقط الثلج منذ 19 نوفمبر.
- محمد: هنا عندنا ليس بعد، هل من جديد حول أعمالك اليدوية؟
- جوليا: ليس هناك أعمال جديدة، ربما قريبا..
- محمد: ربما الوقت غير مناسب للإبداع، فالبرد لا يحفز أحيانا، أليس كذلك؟
- جوليا: انشغلت بأمر آخرى
- محمد: آه، لا بأس، أعمالك تعجبني كثيرا، يجب أن تواصل العمل عليها و تطويرها.
- جوليا: نعم، شكرا
- محمد: جوليا، سأذهب هذه المرة إلى تونس.
- جوليا: لديك عمل هناك؟
- محمد: نوعا ما، سياحة و عمل. سأذهب مع فريق رياضي من أجل حضور دورة مغاربية وسأقوم بتغطية الحدث. بالمناسبة ألسنت تفكرين يوما بزيارة تونس؟
- جوليا: لا
- محمد: بلد جميل، يزوره سياح روسيون كثيرا
- جوليا: لا أحب البحر

- محمد: ليس من أجل البحر، فالربيع و الشتاء مناسبان لزيارة تونس، بإمكاننا أن نلتقي هناك.
- جوليا: VU.....
- محمد: أما زلت مهتمة بأن نلتقي يوما؟
- جوليا: نعم، و لكن كما قلت لك من قبل ليس في الجزائر أو تونس أو حتى تركيا، ربما في بلد أوروبي.
- محمد: في بلادك، ما رأيك؟ هههههههه
- جوليا: لا لا ...لا تأت..
- محمد: هل هناك مشكلة؟
- جوليا: الكل يحاول الهجرة من هذا البلد، لا فرص عمل فيه و ليس مناسبا لإقامة مشروع ربحي.
- محمد: سأتي من أجل الدراسة، هههههههه. بصراحة أنا متحمس جدا لزيارة هذا البلد إما للدراسة أو للسياحة، أعجبتني بيلاروسيا من خلال الفيديوهات و الصور.
- على ما يبدو أن جوليا تفكر منطقيا فهي على حق فيما تقوله، بيلاروسيا ليس بلدا كبيرا لتكثر فيه الفرص فهو أصغر مساحة من الجزائر بكثير و له حدود مع دول الاتحاد الأوروبي.
- محمد: أعذر على الإزعاج جوليا، الوقت متأخر
- تصبحين على خير، قبلة
- جوليا: تصبح على خير.
- تمنى محمد لو كانت تلك القبلة حقيقية و أن تكون جوليا بجانبه دوما فينقص الكلام و تكثر الأفعال.

من الغرابة أن تكون غريبا بين غربة الذات و غربة الوطن و أنت بين أهلك، فلا مسكن يأويك و لا زوجة تسكن إليها. فأنت في سن الزواج و أقرانك من البنات و البنين يتزوجون بينما لا تزال تبحث عن فرصة ضئيلة الاقتناء كأنك تريد أن تربح البوكر.

من الصعب أن تتعلم كيفية ترويض قلب و اقناعه بالحب والأصعب من ذلك اكتشاف أسرارہ.

انزوى محمد تلك الليلة إلى ركن شديد بعدما غير ملابسه وارتدى ملابس النوم، بدأ يفكر في حل يعتمد عليه و خطة يجربها لعلها تخرجه من مأزقه هذا، فمن كثرة التفكير والتركيز على المجهول أصبح يصيبه الأرق لا ينام إلا ساعات قليلة في أواخر الليل و ينهض باكرا، فاضطر إلى الذهاب للطبيب الذي أصر عليه أن يأخذ جرعات من الدواء ليساعده في تنظيم ساعات نومه.

أطفأ الضوء و بقي مستلقيا على فراشه و عيناه جاحظتان متجهتان ناحية السقف، كانت الساعة العاشرة ليلا في المقابل كان الوقت في مدينة مينسك يشير إلى منتصف الليل فارق ساعتين من الزمن، حتى جوليا لم تستطع النوم إلا بعد ساعة من التفكير العميق، كلاهما يفكر في الآخر و في أشياء ثانوية تأتي بين الفينة و الأخرى تعرقل صفو التفكير، سيغلب النعاس مقلتيهما ليذهبا إلى عالم اللاوعي.

جوليا كانت جاسوسة و مهتمة بما يقوم به محمد و تتابع نشاطاته لكنها لم تبتد له تجاوبها و اهتمامها، كانت تود التعرف عليه أكثر و على نواياه دون أن تسأله فأحيانا كان يبدو لها ظريفا و أحيانا كانت تتوجس منه خيفة فربما كان يخفي من السوء ما يخفي، لهذا الحذر مطلوب في هذه الأحيان لتجنب ما لا يحمد عقباه، كانت كلما فتحت جهاز الكمبيوتر أو حتى هاتفها تزور البروفایل و الستوري و أي موقع منخرط به لعلها تجد شيئا جديدا يخصه و ذلك لجمع المعلومات للاستفادة منها.

مر حوالي أسبوع لم تكن هناك رسائل بينهما، كلاهما مشغول بهومومه الدنيوية و البحث عن حلول لها و لكن هذه المرة جوليا كانت السبابة في بعث رسالة الكترونية إلى محمد.

- جوليا: مرحبا، ماهي أخبارك الجديدة حول الفن؟
- محمد: مرحبا جوليا اشتقت إليك، أنا بصدد أن انجاز لوحات فنية جديدة، بما فيها رسم صورتك
- جوليا: حقا؟، ههههه لماذا لا ترسم للناس و تجني ربحا، فرسوماتك جيدة.
- محمد: لا أحبذ ذلك، أريد رسم وجهك أنت فقط. جوليا أتمنى أن ألتقيك يوما و أنظر إلى تلك العينين الجميلتين فترتاح نفسي و أتأكد أنك حقيقة ..
- جوليا: أنت مجنون.
- محمد: ههههههه، هي الصراحة، بالمناسبة، سأرسل لك صورا جميلة، عما قريب سأزور كاتدرائية جميلة

تقع بالعاصمة في مكان هادئ جميل جدا يعود تاريخ بنائها سنة 1858، بإمكانك أن تبحثي عنها في غوغل اسمها: "السيدة الإفريقية" Notre-Dame « d'Afrique » و سأرسل لك أيضا صورا تخص كاتدرائية أخرى "القلب المقدس" Cathédrale « du Sacré Cœur » هذه الأخيرة هي كاتدرائية رومانية كاثوليكية تقع في قلب العاصمة افتتحت سنة 1956 لازالت تفتح أبوابها للمسيحيين لحد الآن.

- جوليا: لم أكن أظن أن الجزائر تحتوي على كنائس، إنها حقاراعة،
- محمد: هناك عدة كنائس مشهورة في الجزائر، بما أنك مسيحية سأزورهم لأجلك و أرسل لك صورا خاصة لكل كنيسة.
- جوليا: شكرا جزيلا.

في ذلك الأسبوع أعلنت جوليا عن علاقتها لصديقتها المقربتين و قالت لهما أنها تتواصل مع شاب عربي جزائري تعرفت عليه عن طريق الصدفة في مواقع التواصل الاجتماعي و لكن كان حديثا سطحيا.

و بعد أن التقت مع صديقتها ايكاتيرينا بحديقة "فيكتوري بارك" كان لهما حديث مطول و كانت فرصة للحديث في عدة مواضيع مختلفة بعد أسبوع مليء بالتعب و الضغوط في العمل أشرق يوم مشمس ما جعل العديد من الشباب والعائلات

يخرجون للتزّه على أطراف النهر و بين الحدائق بعضهم بالدراجات و البعض مشيا، إنها فرصة حقا يجب اغتنامها عندما تطل عليك الشمس بأشعتها الدافئة.

فما كان لجوليا و ايكاتيرينا إلا أن تختارا مكانا بمقهى يحاذي النهر كانت تقابلهما نافورة كبيرة وسط النهر تمر عليها باخرة صغيرة مخصصة للسياح و بعض العرسان الجدد الذين يفضلون زيارة المكان لهدوئه و أخذ الصور في عدة زوايا من النهر و بين الأشجار الكثيفة و على أرصفة الحدائق.

نسيت جوليا و ايكاتيرينا الوقت الذي مر بسرعة البرق بعد انغماسهما في قلب كل موضوع، أخذتا تتحدثان و كأنهما لم يلتقيا منذ فترة طويلة، بدأت ألوان الغسق تصبغ المكان أما الشمس أبت أن تسدل ستارها الأخير كعادتها وراء الأشجار الطويلة و هي تودع معطية الدور للقمر، ساد الهدوء في المكان و لم يتبق إلا صوت تلك العصافير التي عادت إلى أعشاشها بعد أن استرزقت في هذا اليوم الجميل و أبت إلا أن تمزج زقزقاتها مع خرير المياه الذي ينساب بين الأحجار ويتدفق من المجاري أما تلك الدراجة الهوائية صفراء اللون هي كذلك أبت إلا أن تصدر صوتا عند مرور الرياح بين عجلتيها. قد تكون الدراجة الأخيرة التي ستمر من هنا و في هذا الوقت، سيمفونية رائعة تنسيك الزمن الذي أنت فيه، تنسيك همومك و مشاكلك، تغيّر مزاجك و تشحنك بطاقة إيجابية للرجوع إلى العمل في الأسبوع الجديد بكل ثقة.

تلك الغابة تشعرك بأنها منزلك الثاني و قد تأخذك في أجواء حفل بموسيقى كلاسيكية في قاعة الأوبرا، مكان آمن للإنسان و الحيوان و الطيور و حتى الحشرات، مساحات خضراء لا يظهر لون الأرض البني، هناك مساحات أخرى من الأزهار البرية الياضعة و أزهار منوعة الألوان و الأشكال مزروعة بعناية و مدروسة بدقة.

تحركت جوليا إلى الأمام و هي جالسة من أجل ربط خيوط حذائها فانسدل شعرها الذهبي الذي كانت تمر عبره تلك الأشعة التي تأتي من قرص الشمس فزادت اللون لمعانا، فجأة أخفى شعرها رقبتها و وجهها و ظهرت يداها ناصعتي البياض و مالتا إلى اللون الوردي مع أشعة الشمس وخرجت منها السلسلة الفضية من جيدها حاملة صليبا فضيا صغيرا الذي لم تكن تستغني عن لبسه فكان مؤنسها و جالب الحظ لها و حاميتها، لمستها بأصابعها، قبلته ثم أخفته داخل صدرها و نهضت.

كانت جوليا تبدو من بعيد كأميرة تتجول في بستان القصر مع جاريتها الجميلة تحكي لها أسرارها و بالخصوص أسرار العشق و الغرام.

ايكاتيرينا أيضا حسناء من سنوات بيلاروسيا عيناها زرقاوان مائلتان إلى اللون السماوي، ذات قوام رشيق فجمالها لم يشفع لها عند زوجها، فقام بتطليقها لأنها لم يتفقا معا حول أمور العيش و بناء العائلة، لم يكن زوجها يعمل كان شاباً مثل أقرانه يتكلمون على النساء كثيراً فكان يأخذ من مالها

الذي تتعب من أجل الحصول عليه، لم يكن يعرف معنى المسؤولية و لا حنان الزوجية، أنطون تشيكوفيتش شاب ثلاثيني ذو جسد رياضي فهو يمارس رياضة كمال الأجسام، يضع وشما في رجله اليسرى و وشما آخر في ذراعه، كان ينام كثيرا و يحب السهرات الشبابية فهو يرتاد الملاهي كل يوم و لا يدخل البيت إلا في وقت متأخر، أنطون أدمن على شرب الخمر والرقص على الأغاني الصاخبة التي لا تخلو من الفتيات وجميع أنواع المشروبات الروحية مما جعل العلاقة الزوجية بينه و بين ايكاتيرينا تتطور سلبياً و يفترقا و تنتهي بالطلاق...

كانت جوليا و ايكاتيرينا تمشيان وسط الطريق المخصص للمشاة دون كلام أو حديث بل تتأملان الأصوات المنبعثة هنا و هناك فأعجبهما الأمر و بقيتا تتأملان في صمت، كل واحدة منهما لا تريد إزعاج الأخرى و كأن الكلام قد نفذاً منهما وقالتا كل ما في جعبتهما.

تنهدت جوليا ..

- آآه.. وهي تبتلع الهواء بكمية كبيرة..

- ايكاتيرينا: ما بك ؟..

- جوليا: لا شيء..

- ايكاتيرينا: لا تقلقي ستكون كل الأمور بخير..

هزت جوليا رأسها مبتسمة و بقيت صامتة حتى وصلنا
إلى محطة الحافلات و ركبت كل واحدة منهما الحافلة التي
تأخذها إلى بيتها ..

...انتهى اليوم...

الزواج

*أليس من الأفضل أن نهاجر بدلاً من أن نتزوج؟ فالزواج هجرة داخلية

نجيب محفوظ

نتساءل أحيانا لماذا تتغير الأوضاع عادة أو في الكثير من الأحيان إلى السواد و الغموض؟، ربما لكي يبقى الشوق إلى رؤية الصفاء و ترقب النعمة له قيمة، أما البحث عن الفرص النادرة أصبح صعبا فالقليل من يختار الاختيار الأصعب، فمننا من يجازف و منا من يحتار في الاختيار بين تقبل الواقع والروتين المعتاد أو يصنع لنفسه واقعا كما يريد هو.

بعض الشباب أصبح يجرب الهجرة بثنتى طرقها وأنواعها الكثيرة، لعل بعضهم ينال خيرا منها و تنفتح له فرص عظيمة كانت تنتظر من يفتنصها و البعض الآخر يموت في عرض البحر لا يمسك ولا يرى حلمه و لا يرجع جسده ليدفن تحت الثرى بين أهله.

كيف لشخص يمكنه محو آثار طفولته من ذاكرة جسده ويستمتع بالأم الغربية و مواجهة الصعاب، أنت بين المطرقة والسندان، فلا مطرقة ترحمك و لا سندان يحميك، الدنيا غريبة على من لا يفهمها و عدوة لمن لا يقوى على العيش

فيها، فليس من السهل التصدي و الصبر و التنازل عن بعض القيم و المبادئ التي فرضت في مجتمعنا.

جوليا لم تكن لديها أي أدنى معلومة حول الظروف التي كان يعيشها محمد في الجزائر و ماهي الأسباب التي أدت به لعدم اختيار زوجة جزائرية، فسألته سؤالا مباشرا كان يدور في ذهنها:

- جوليا: لماذا لم تتزوج من جزائرية؟ أظنه كان ليكون أفضل لك.
- محمد: سأشرح لك يوما ما، في الحقيقة حاولت مرارا ولكن...
- جوليا: ألا يمكن أن تشرح لي الآن؟
- محمد: لا أعتقد أنك ستفهمين، الأمر معقد بعض الشيء ومشكلتي في عدم اتقان اللغة الإنجليزية لكي أوصل لك الفكرة جيدا.
- جوليا: حسنا، لك ذلك.لدي سؤال
- محمد: نعم، تفضلي
- جوليا: لماذا لا توجد علاقات بين بلدي و بلدك؟
- محمد: حتى أنا وجددتي أتساءل نفس السؤال، و لكن سأسأل رئيس الجمهورية عندما ألتقيه و أقترح نفسي لأن أكون سفيراً للجزائر ببيلاروسيا و هكذا أكون قريبا منك، هههههه
- جوليا: لست أمزح، ههههههه

- محمد: أتكلم عن جد، لم لا، سأجرب حظي إذا سنحت لي الفرصة.

في الوقت نفسه كانت جوليا تتحدث مع إيكاتيرينا هذه الأخيرة أخبرتها عن صديقتها التي اختارت الزواج في بلد عربي و بالضبط في قطر مع مسلم قطري و الذي بدوره أقنعها على اعتناق الإسلام و ألبسها ثوبا أسودا يسمى بالجلباب و أقام لها عرسا حضرته العائلة و الأصدقاء و حتى الجيران .

يختلف العرب في العادات و التقاليد فالأمر مغاير تماما بين الجزائريين و القطريين، هذا ما لم تكن تعلمه جوليا.

محمد يريد الزواج مني. قالت جوليا

- إيكاتيرينا: حقا، هل قال لك هذا؟ (تقول إيكاتيرينا وهي مندهشة.)

- جوليا: لا و لكن فهمت من كلامه أنه ينوي ذلك، لأنه كثيرا ما يسألني في هذا المجال، سألني إن كنت مرتبطة أو على علاقة مع شاب، سألني أيضا إذا كنت أفكر في الزواج و ماهي المعايير التي أختار بها الزوج و ماهي شروطي. في رأيك يا إيكاتيرينا ألا يبدو مهتما بالزواج مني؟

- ايكاتيرينا: نعم، و لكن لم يقلها مباشرة، إلا إذا لم يجد الوقت المناسب ليعلن لك عن نيته اتجاهك أو ربما يكون متخوفا من أن تردي طلبه.
- جوليا: في الحقيقة أنا لست مهتمة بالزواج، وبالخصوص أنه عربي مسلم.
- ايكاتيرينا: ربما يكون شابا مميزا يليق بك و لا يخدعك فالعرب إذا أحبوا أسرفوا في حبهم و يمتازون بالوفاء والغيرة على زوجاتهم و ما يدريك لعله ينفكك و يكون زوجا مميزا وبالصفات التي تريدينها.
- جوليا: قال لي: أن هناك عدة نساء روسيات متزوجات جزائريين يقطنون بالجزائر و هناك أيضا مهاجرون جزائريون يعيشون بين أحضان الروسيات، و قال أيضا إنهن يعشقن العرب كثيرا، و... و... و أمور أخرى.
- ايكاتيرينا: لا تقلقي بهذا الشأن عزيزتي، ستظهر نيته و يكشف لك عن ما يسره.

محمد محتار بين اختيار فتاة جزائرية أو أجنبية، فكان يجرب في كل مرة التقرب منهن من أجل الخطبة فيلقى رفضا بسبب البطالة، مع العلم الفتيات يعرضن أنفسهن و لا يطلبن أي شيء في البداية لكن ما ان تصبح العلاقة رسمية تبدأ الشروط بالتهامل و قائمة الطلبات الواحدة تلو الأخرى، شروط يصعب تحقيقها و طلبات يستحيل تنفيذها فالرجوع إلى الخلف أو التقدم إلى الأمام خطر و خسارة، في كلتا الحالتين أنت فوق

حافة السكين، محمد المسكين حاله مثل حال أقرانه منهم من يجد دعما و مساعدة حتى يتجاوز مرحلة الزواج و منهم من لا يستطيع الوصول إلى تلك المرحلة.

أصبح مقتنعا أكثر من وقت مضى بأن هذا المنع خير له ويزيده اصرارا للبحث عن أجنبية من أجل الزواج، حيث كل هذه المشاكل جعلته يقتنع أيضا أن زواجه لا يكون إلا بأجنبية، و أصبح تركيزه منصبا على جوليا أو بالأحرى التقرب منها أكثر و أكثر من أجل أن تحبه و لا ترد طلبه لأن الأمر لم يكن سهلا لإقناع فتاة مثلها بالزواج من عربي.

كان يوما متعبا لم يتلق أي رسالة في هاتفه و لم يكن لديه الوقت حتى للتصفح، و هو راجع إلى المنزل يفتح الفضاء الأزرق ليطلع على الأخبار حتى وقعت عين محمد على منشور يتحدث عن الزواج بالأجانب مصدره العربية نت:

باتت الجزائر في الآونة الأخيرة، تمارس تضيقا و مراقبة على زواج الجزائريين من الأجانب بسبب مخاوف أمنية من وراء هذه الزيجات، خاصة بعد أن كشفت عن وجود جهات تستغل الزواج المختلط لنشر معتقداتها الدينية الغربية عن المجتمع الجزائري أو تنفيذ مخططات مشبوهة.

هذا التضيق دفع بعدد من الجزائريين للجوء إلى تونس لتوثيق زواجهم من الأجانب، و هي الظاهرة التي باتت تقلق السلطات الجزائرية، كونها لم تعد تتحكم في مراقبة هذه الزيجات أو تملك سلطة التأكد من هويات الأزواج الأجانب،

فقررت عدم الاعتراف بها و تصنيفها في خانة "الزواج العرفي".

و في هذا السياق، أكد المحامي الجزائري عبد الغني بادي، أن مسألة زواج الجزائريين من الأجانب التي لا تمر عبر القنوات الرسمية الجزائرية تطرح إشكالات كبيرة، مضيفا أن "التحقق من بعض الزيجات صار مسألة أمنية و أمرا طبيعيا، خاصة إذا كان الزوج أو الزوجة قادما من منطقة تشهد بؤر توتر"، لافتا إلى أن هذا الأمر معمولا به حتى في فرنسا و في أوروبا في إطار التجمع العائلي، و أن هذا الإجراء يستغرق مدة طويلة يتخللها تحقيق في هوية الشخص خاصة من الجانب الأمني.

أما في تونس وجد الجزائريون ضالتهم للزواج بمن يحبون و من يختلفون معهم في الدين و الهوية و الجنسية، بإجراءات سهلة و بسيطة مرورا بالسفارة الجزائرية هناك التي تمنح جزائريين ترخيصا للزواج و يطبق عليهم القانون التونسي.

عبد الله المراح واحد من الجزائريين الذين اختاروا توثيق زواجهم في تونس، عندما تزوّج قبل عامين من ألمانية، و ذلك بسبب سهولة إجراءات الزواج فيها، على عكس بلده الجزائر التي تشترط الحصول على موافقة السلطات من أجل الزواج من أجنبية، التي تستغرق بين 6 أشهر إلى سنة، و في بعض الحالات يتم رفض الطلب" مضيفا أن تونس "يمكن الزواج فيها و الحصول على العقد خلال أيام".

عبد الله و آخرون بعد توثيق زواجهم في تونس يحاولون في مرحلة ثانية إثباته في الجزائر، لكنهم يصطدمون بالرفض أو المماطلة فسلطات بلادهم تعتبر أن مثل هذه الزيجات بمثابة التحايل على القانون، و لذلك فهي لا تعترف بالزواج المختلط الذي يوثق خارج حدودها و يخالف الطرق المألوفة، و تصنفه في خانة "الزواج العرفي".

و تعتبر ذلك بأن مثل هذه الزيجات هي مخالفة لقانون الأسرة، لأنها لم تسجل لدى مصالح الحالة المدنية بالبلاد، و لم تحسم السلطات الجزائرية في هويات الأزواج و سيرتهم، ما إذا كانوا متورطين في قضايا إرهابية أو ينشطون ضمن عصابات دولية أو مهاجرين غير شرعيين، أو منخرطين في شبكات تجسس أو مبشرين لديانات و طوائف دخيلة.

كما أن مصالح الأمن الجزائرية قد ألفت القبض على الكثير من الشبكات المتخصصة في نشر النصرانية عبر الزواج المختلط و شبكات الجوسسة، و تم أيضا تسجيل حالات من الزواج تحوم حولها شكوك عن وجود أغراض استخباراتية من ورائها.

بعد قراءة هذا المقال أعطى لمحمد فكرة على أنه بإمكانه الزواج في تونس بكل سهولة و لا يتطلب الأمر أكثر من عشرة أيام فما عليه إلا اقناع فتاة أجنبية للزواج و اللقاء بدولة تونس.

في يوم من الأيام التقت جوليا صديقتها كريستينا و هي خارجة من سوق "كاماروسكي" Kamarouski Rynak الذي يعد من أشهر و أكبر و أقدم الأسواق الشعبية ببيلاروسيا خاص بالخضر و الفواكه و حتى الألبسة، بجانبه محلات صغيرة ومقاهي و مطاعم، بمدخله نافورة جميلة على جنبها تمثال حصان و بقرة و إوز و تماثيل أخرى لرجل يصور بكاميرا من الاختراع الأول تقابله امرأة مرتدية فستانا واسعا تحمل شمسية و كلبها الصغير بجانبها منحوتات مصنوعة على صورة تعود إلى القرن التاسع عشر، مكان جميل للراحة.

فضلت الصديقتين أن تجلسا في إحدى محلات بيع البييتزا و الشاورما لأخذ قسط من الراحة و الدردشة و الخوض في أحاديث نسائية، فجوليا كانت محتاجة لهذا اللقاء الذي اغتنمته لتكشف لصديقتها هي الأخرى عن تفاصيل علاقتها بالجزائري محمد الذي ينوي زيارتها إلى بيلاروسيا و رؤيتها أو أن يلتقيها بمكان آخر كتونس أو تركيا، و لكنها على ما يبدو خائفة، لم تجد من يوجهها أو يعطيها نصائح تساعد في هذه العلاقة.

كريستينا كانت فتاة نشطة بمنظمة خيرية و تعمل أيضا كموظفة بمكتب التسجيلات لجامعة حكومية، فكانت تتعامل مع الأجانب و العرب بالخصوص و التي كانت تجهز لهم الدعوات الرسمية و تستقبلهم بالمطار عند الوصول، كانت لديها بعض الخبرات فتعرفت على ذهنياتهم و كيفية تفكيرهم، هناك عدة دول عربية من المشرق العربي و المغرب العربي

و الشرق الأوسط تجمعهم لغة واحدة و دين واحد و لكنهم لا يحملون نفس الثقافة و نفس التفكير.

كريستينا كانت قاسية نوعا ما مع جوليا منذ البداية، قالت لها أن العرب يخدعون و هدفهم هو الدخول إلى أوروبا عن طريق بيلاروسيا، ربما تكون على حق لأنه منذ أسابيع فقط أعلنت السلطات البيلاروسية في موقع رسمي عن محاولة هروب فتاة سورية و شاب تونسي عبر الحدود البيلاروسية البولندية، لم تكن هذه الحالة الأولى فحسب فهناك عدة جزائريين، تونسيين، مغاربة... ينوون زيارة بيلاروسيا من أجل الدخول إلى أوروبا التي تعتبر بالنسبة إليهم أرض الأحلام و السلام، الكل طامع في أن تكون له بوابة للحصول على رزق حلال و مكان آمن للاستقرار، لكن للأسف لا يعرفون الحقيقة و الواقع في الضفة الأخرى.

بعض الشباب يخبؤون ما بداخلهم و لا يكشفون أسرارهم لأحد إلا عند وصولهم للجهة الأخرى، هناك تظهر نواياهم السيئة، أنصحك جوليا، تعاملي معه بحذر و لا تعطيه فرصة للعبث و الاستهزاء بك.

كيف لجوليا أن تعرف ما يجول بخاطر محمد من نوايا و ماهي الطريقة للكشف عنها؟

- جوليا: شكرا لك عزيزتي، نبهتني لأمر مهم، سأكون حذرة.

- كريستينا: العفو، لا أريد رؤيتك حزينة و نادمة بسبب شخص لا نعرف عنه شيئا، لأنني أعرف أنك حساسة جدا وتتأثرين بالكلام المعسول.

أخذ محمد الهاتف بين يديه و هو مستلق فوق الأرض واضعا فراشا خفيفا تحته و وسادة، كان متعبا جدا و هو يقلب برامج و تطبيقات هاتفه الذكي ربما كان ينتظر رسالة ترده من جوليا أو كان يود أن يرسل لها رسالة الكترونية و هو يتخيل تلك التعابير الجميلة الرومنسية التي تليق بها ليكتبها لها فأخذته النوم على حين غفلة، و بعد لحظة نهض مفزوعا و لم يعرف ما يفعله، اختلط عليه الزمن لا هو يعرف أي أيام الأسبوع فيه و لا يعرف إذا نام الليل أو نام القيلولة، بقي على هذا الحال دقائق ليسترجع نفسه فتبين له أنه لم ينم إلا ربع ساعة فقط من ظهيرة يوم الجمعة، عند الجزائريين هذا اليوم يعتبر الأول من أيام نهاية الأسبوع، حيث يخصه البعض للنوم، فتجد المحلات مغلقة تماما، شوارع خالية على عروشها لا تجد مكانا يحويك، فلم يكن محمد من فئة الكسالى بل كان نشيطا يفضل العمل على النوم و لم يكن يعجبه هذا الحال ...

عاد يتذكر ما رآه في منامه أنه يرسل لها رسالة الكترونية عبارة عن أبيات شعرية يقول فيها:

دثريني بالحنين
و لا تجعليني أبكي كالحزين
تائه كالطير
غامض كمتشرد في الرصيف
ما فعلت عيناك بي
مالي لا أعرف الطريق
من الذي جعلني أكتوي بين يديك
أغائب أنا عن نفسي
أم أحوالي تحتاج إلى طبيب
ليتأك أنت الدواء و أنت الرفيق
أ أنت حقيقة
أم مجرد أكلوبة صدقها عقلي الرهيف
أم هي حماقتي و جهلي القديم
أتمنى أن تصدق رؤيائي
فأشفي من عذابي الدفين

فدونها مباشرة لتبقى بين مسوداته التي كان يخبئها داخل غلاف الرسالة، كان يجمع من الأوراق الكثير مكتوب عليها خواطر و أشعار و أفكار، لم يكن يسمح لأحد أن يطلع عليها كان يفكر دوماً أنه سيأتي يوم يجمعها و يطبعها في كتاب، بعد انتهاءه من التدوين قرر أن يرسل لها رسالة الكترونية..

- محمد: مساء الخير اشتقت إليك كثيرا.. جوليا كنت ساحرة و أعترف لك بهذا، فيا ليتك أكملت وصفة السحر لأتذوق سحر صوتك و سحر عطرك فتكون هوايتي الدائمة و المفضلة...أتمنى أن تكوني دائما بخير.

لم تر الرسالة إلا بعد عودتها من العمل و بعد إن استراحت شغلت الأنترنت في هاتفها فبدأت رنات الرسائل تصلها الواحدة تلوى الأخرى، كانت من بينهم رسالة محمد الذي ارتجف قلبها عند رؤيتها و بدأ في الخفقان و ما إن قرأتها زال عنها الخفقان تدريجيا فابتسمت ابتسامتها القصيرة من تعبيره اللطيف.

كانت جالسة تنظر من نافذة غرفتها و هي تتخيل و تعيد قراءة الرسالة فذهب عقلها بعيدا حتى وقع نظرها على حمامتين تتغازلان، كانت حاملة في يديها كأس شاي كعادتها تفضل شربه مساء بعد عودتها من العمل و الانتهاء من أشغال المنزل فكانت تغير ملابسها و تحضر شايأ ساخناً تعطي لأبيها كأسا و تأخذ هي كأسا و تجلس قبالة النافذة فأحيانا تقرأ

كتابا و أحيانا أخرى تتفقد هاتفها للرد على الرسائل أو ترى ما هو جديد من صور و أخبار و في عديد المرات تكتب رسائل و خواطر في دفترها الخاص.

أعجبها منظر الحمامتين و هما تتغازلان فوق سقف المنزل المقابل، طائرين وحيدين اختارا مكانا هادئا لكي لا يزعجوا ولا يُزعجوا، حتى الحيوانات و الطيور لها طريقتها الخاصة في ممارسة الحب و لها طريقتها للفت انتباه العاشق و لها طريقتها الخاصة للزواج، فما ألطف هذا الزوج من الحمام الذي ترك مجموعة من الطيور الحمام على الأرض و ذهب بعيداً و في الأعالي قبل غروب الشمس، منظر يجعل كل من يراهما يبقى يحدق فيهما و يتمنى لو كان في تلك اللحظة مع عشيقه.

كانت جوليا تقول في قرارة نفسها أحقاً محمد اشتاق إليّ وهو لم يلتق بي يوماً، إن كان الأمر صحيحاً فكيف يصبح الأمر إذا التقينا، أيمتلك رومنسية المحترفين؟ أم أنه يتلاعب بمشاعري و يغويني مثل المحتالين، هل يخطط لأن أرسل له دعوة لزيارة بيلاروسيا و الدخول إلى أوروبا؟، أبدا لا يمكنه اقناعي و لن يفعل هذا و لن أترك له فرصة للعبث بمشاعري فلست بلهاء إلى هذا الحد، هل خلت الجزائر من النساء، ألم تعجبه واحدة منهن، لم لا يتزوج إحداهن؟..

أمرك غريب يا محمد أصبحت لغزا في حياتي دون أن أشعر.
(قالتها بصوت مرتفع)

سمعها أبوها و هو يمر بجانبها تقول كلاما تحدث نفسها،
فاستغرب الأمر.

- سارجي: ما بك جوليا؟ أصبحت تتكلمين وحدك؟
- جوليا: لا لا لم أقل شيئاً، فقط كنت أحدث نفسي.
- سارجي: تعالي يا بنيتي.
- جوليا: نعم
- سارجي: اجلسي، لا يمكنني الحديث معك و أنت واقفة هكذا.

جلست على الأريكة المقابلة له و هي تقول:

- نعم، قل لي، يبدو أنه موضوع مهم لتدعوني للجلوس
- سارجي: اسمعيني جيداً، نعم موضوع مهم. تعلمين أنك ابنتي الوحيدة، و تعلمين أيضاً كم أحبك، و كنت أتمنى أن يكون لي أولاد آخرون، إلا أن أمك مرضت و لم تعد تستطيع الإنجاب. أود أن أكون جداً، و حلمي أن أرى أولادك، فمتى تنوين الزواج و بناء عائلة؟ أنت في السادسة و العشرين، قريباً سنحتفل بعيد ميلادك السابع و العشرين، ألم تجدي شاباً يليق بك؟
- أسدلت جوليا هديبها حياءً، ثم تنهدت مستعدة للكلام و وضعت كأس الشاي أرضاً.
- جوليا: يا أبي ليس وقت هذا الكلام، لست مهتمة الآن بالزواج.

- سارجي: لا تتهربي من الموضوع لأنني لن أعيد الخوض فيه مرة ثانية.

- جوليا: في الحقيقة لست أثق بالشباب، معظمهم لا يتحمل المسؤولية عند الزواج و لا يعرف معناها حتى، لا يعرفون حقوقهم و واجباتهم، يقون على حالهم بعد الزواج يشربون الخمر و يسهرون الليلي في الملاهي، فكيف لي أن أجد شابا أثق به؟ كلما تعرفت على أحدهم أجده نسخة طبق الأصل عن الآخر.

- سارجي: أعلم يا بنيتي، أعلم...حاولي، و صلي للرب فيساعدك.

- جوليا: نعم أبي.

- سارجي: ما رأيك أن نذهب غدا للصلاة في الكنيسة أنا و أنت و أمك؟

- جوليا: ممكن، سأحاول، غدا نذهب.

نهضت متجهة إلى غرفتها متناقلة الخطوات و أرخت بنقلها على سريرها تفكر بعمق في كل ما يحدث لها بشكل سريع ومبعثر و غامض.

كان أفراد عائلة جوليا حريصين على الذهاب إلى الكنائس و إقامة الأعياد الدينية المسيحية و كانوا ملتزمين جداً، حتى أنهم لا يشربون الخمر إلا في المناسبات و كانوا يحبون الأماكن الهادئة فكانوا كل نهاية أسبوع يذهبون لبيتهم الثاني

الذي يقع بالريف على بعد حوالي 50 كلم من العاصمة مينسك، جوليا تحب كثيرا مثل هذه الأماكن التي تمتاز بالهدوء و البساطة فكانت تعتنى بزراعة الأزهار و النباتات ببستان البيت، كما أنها كانت أيضا مولعة بالسفر و السياحة إلى الأماكن التاريخية و التي تحوي التراث المادي و اللامادي كما أنها تحب اكتشاف المناطق الجديدة فكانت تفضل الذهاب مع أصدقائها و أحيانا مع فريق العمل في رحلة منظمة مع شركة سياحية مما يجعلها تعود إلى عملها بطاقة ايجابية في أول أيام الأسبوع.

.....

كل يوم ليل يغشى و نهار يتجلى، فنتساءل لماذا خلق الله الذكر
و الأنثى

سينجلي الليل و تبدأ الحكاية *** و تجعلين لنفسك هواية

تبكين الماضي و الحاضر *** فلا تتشتكي منذ البداية

فلن يشاركك أحد *** حتى تلك الفراشات التي كانت تحوم
فوقك

تحط أحيانا على كفك *** وتارة أخرى على كتفك

ستكف عنك *** لأنها بكل بساطة لا تحب التعاسة

أتردين لماذا؟ *** بكل بساطة لأنها تبحث عن السعادة

لا تتركي تلك الورود تذبل *** و لا تستمري في التفاهة

كفي عن البكاء *** و أصبري إلى النهاية

ستكون هديتك عبارة عن رواية *** يا ليتك تقرئها بعناية.

هذه الأسطر من الخواطر جاشت بها قريحة محمد فكتبها في
كراسته مع بقية الخواطر التي اعتاد أن يؤلفها...

كانت لمحمد علاقات كثيرة بحكم أنه شخص اجتماعي تحبه النساء كثيرا و تتمناه العديد منهن، حيث أحيانا لا يترددن عن عرض أنفسهن للزواج منه والتقدم لخطبتهن، و بعضهن ترسل له رسائل للتعرف عليه عن طريق العالم الافتراضي الأزرق، لكنه كان دقيقا في الاختيار، كان يركّز على التفاصيل و يعطيها أهمية كبيرة، يحب الجمال فيهن و يحب صاحبة العلم و ذات النسب كانت لديه عدة معايير يجب أن تتوفر في المرأة من أجل اختيارها، ربما كان يبالغ في ذلك، لكنه كان يعلم علم اليقين أن هذه المواصفات موجودة.

كانت عائلته تضغط عليه ليتزوج مثل جيرانه و أقرانه وأبناء العمومة الذين كونوا أسرا جديدة، ففي كل مرة كانوا يقترحون عليه بنتا ممن يرونها مناسبة له أو بالأحرى مناسبة لهم.

في يوم من الأيام خالتي الزهور أم محمد كانت قلقة بشأن تزويج محمد فاقترحت له هذه المرة بنتا التقت بها في أحد الأعراس العائلية، كانت بنتا جميلة و ذات نسب، متحصلة على ماستر علم الاجتماع، كان قد رآها محمد و وافق مبدئيا على أن تذهب عائلته إليهم ليطلبوها زوجة له لكن هل سيقبلون به فهو عاطل عن العمل ما عدا تلك اللوحات و الرسومات التي ينتظر أصحاب المحلات ليعطوه أجرها بعد أن تباع ليسترزق من هذا المدخول.

محمد يملك غرفة بمنزل العائلة المتكونة من عشرة (10) أفراد، كان يفكر في حل لتغيير تصميم الغرفة لأنها كانت كبيرة نوعا ما فتصبح غرفة مع مطبخ صغير أو غرفة مع حمام و لكن هل تقبل زوجته أن تعيش في مثل هذه الظروف و تصبر حتى يكسب زوجها شقة، ربما تبقى على هذا الحال لمدة سنة و لكن ستقترح عليه حتما كراء شقة للعيش بمفردهما ليستمتعا بالزواج بعيدا عن المشاكل العائلية التي قد تحدث في أي وقت، الزواج بالجزائر مكلف جدا تبدأ المصاريف من المرحلة الأولى للخطبة إلى غاية يوم الزفاف، فالعادات والتقاليد أصبحت تنخر الجيوب و لا ترحم أحدا حيث تختلف من منطقة إلى أخرى...

شراء سرير و خزانة و تلفاز بالغرفة و مبرد ضروري، أكسسوارات تظهر فيما بعد يجب إضافتها في قائمة شراء اللوازم الضرورية، أما قائمة اللوازم لتنظيم يوم الزفاف فلا تقل طولا عن قائمة مستلزمات البيت، يجب كراء قاعة للحفلات لاستضافة الأصدقاء والجيران و الأقارب على العشاء حيث عدد ضيوف تلك الليلة يفوق الثلاثمائة (300) شخص، دفع مبلغ كبير للزوجة كمهر مع مجوهرات من الذهب الخالص وأشياء أخرى ذات قيمة مالية كبيرة، تحضير حلويات أكثر من ثلاثة (3) أنواع مصنوعة من اللوز أو الجوز لتوضع في علب فاخرة حيث بعضهم يضع عليها اسم الزوج و الزوجة، التباهي بالأعراس هو الذي جعل العائلات

الجزائرية تكلف نفسها أكثر مما تطيقه، فالإسلام كان يسيرا
و أركان الزواج لم تذكر فيها تلك المصاريف و التبذير.

ذهبت العائلة لخطبة البنت و استقبلوا بكل رحب و سعة
بعد أن كانوا قد أعلموهم بالزيارة من قبل لرؤية البنت
وخطبتها كما كانت فرصة للتعرف على العائلتين فيما بينهما،
كما أراد محمد كذلك رؤيتها و الحديث معها في بيتهم.

لم يتخذوا قرارا في تلك الساعة لا من جانب عائلة محمد
ولا من جانب عائلة البنت، حيث محمد قد أعجبه البنت كانت
جميلة حقا لأنه رآها دون خمار، لون شعرها بني و عيناها
عسليتان و صوتها رقيق، تظهر هادئة و خجولة من خلال
طريقة جلوسها و كلامها الموزون تبدو مثقفة لم يدم الحوار
طويلا بينهما لكن ربما تكون ملائمة له.

ربما هنا ستنتهي علاقته التي بدأها مع جوليا فيتزوج
زواجا عاديا مع فتاة عادية و يعيش حياة عادية و يطبق
القوانين و الأعراف التقليدية، يستسلم للأمر الواقع
والمفروض.

لكن للأسف الشديد قوبل الطلب بالرفض من طرف عائلة
الفتاة بعد مرور أيام فقط و الأسباب يعرفها محمد و لا يريد
الكشف عنها.

لا تحزن يا ولدي فهناك غيرها الكثير و العديد منهن
تتمناك أن تكون زوجها. تقول أمه.

لم يرد عليها محمد و لو بكلمة، و أكمل طريقه إلى خارج المنزل بخطى متسارعة للهروب من النقاش.

تمر الأيام قرر محمد فيها الخروج و التجول في شوارع مدينته و أزقتها، كان يمشي بخطوات متباطئة منقل الجسد مشتت الذهن لا يعرف ما يفعله كل شيء مغلق في وجهه لا الليل و لا النهار بيتسم له يكاد قلبه أن ينفجر، حاول أن يفكر في شيء ينسيه همومه، فأصبحت تفاصيل البنايات و عيوبها تأخذها بعيدا و خصوصا تلك البنايات ذات الطابع العمراني الفرنسي التي تحكي بجمالها الماضي بأسراره و الحاضر بمشاكله، كان يراها و كأنه أول مرة يمر عليها.

ها هو يمر على حي شعبي حتى ناداه صديقه توفيق من داخل مقهى الركن الجميل Le Bon Coin الذي كان ممثلاً، يتوسطه صديقه توفيق رفقة ثلاثة شباب مختلفة أعمارهم كانوا يتحدثون أحياناً في السياسة و أحياناً في الرياضة يحللون و يناقشون أي موضوع يخطر بالبال و ذلك لتغيير الروتين، عندما تسمعهم لأول مرة تحسب نفسك تجالس أكاديميين ومحللين سياسيين و رياضيين، بعدها تكتشف أنهم لم يدخلوا الجامعة و لا يطالعون الكتب و لم يكونوا مجتهدين حتى في الثانوية.

كلهم يكرهون الأحوال التي آلت إليها البلاد من فساد، وكلهم يخطط للهروب منها بأي وسيلة أو طريقة كانت، فكان أحدهم قد جرب الهجرة الغير شرعية و قد كان يروي

الأحداث بكل تفاصيلها و جميع المواقف التي حدثت معهم والطرق التي سلكوها و جربوها فكان مثل بطل فلم حقيقي.

ظلمة المقهى و ضجيج بلا معنى منظر لم يألفه محمد لأنه لا يرتاد المقاهي منذ مدة ليست بقصيرة، شباب يملؤون المكان و يلوثونه بدخان الشيثة (الأرجيلة) و السجائر و رائحته التي تلتصق في كل من تخوّل له نفسه الدخول و الجلوس لاحتساء كوب عصير أو فنجان قهوة أو شاي، في أعلى الجدار المقابل ترى تلفازا مشغلا كل الوقت، أخبار السياسة صباحاً و في المساء مباريات كرة القدم، لولا ذلك الجهاز لكان المقهى فارغاً، في الزوايا الأخرى من المقهى شباب يحاولون إلهاء أنفسهم بلعبة النرد الموجودة بالهاتف الذكي (Iodo classic) و البعض الآخر جالس بالطاولات على الرصيف كلهم أعينهم و أجسادهم متجهة نحو الطريق لا تفلت منهم أي لقطة في الشارع فكل المارة على أعينهم و ملفاتهم تفتح على الحين عند مرور أي شخص وبالخصوص البنات و النساء فتتبادل المعلومات عنهم و تختلف الآراء فكل من يأتي بمعلومة جديدة يسمع صوته.

دخول مثل هذه الأماكن يجعلك تحس كأنك غريب عنهم حيث تظهر لك و كأنها جحور ممتلئة بالبشر لا يظهر سوى مدخلها و الجالسين في الخارج على حافتها، أما بعض المقاهي لا يمكن دخولها فقط لأنها مجهزة و محجوزة لمحترفي الدومينو و لعبة البطاقات (كارطة تاع الحرام كما يطلو للبعض أن يسميها) من الصباح إلى المساء، فلا أحد ينتبه

لوجودك أو دخولك و حتى انصرافك، فالكل منهمك يلهو ويلعب، ينسى أهله و أولاده، فلا صلاة في وقتها يصلحها و لا مؤونة لعائلته يأتيها.

ذلك من قال عنهم ربهم "نسوا الله فأنساهم أنفسهم"، منهم من ينتظر دوره بقراءة جريدة مسودة مليئة بمشاكل الدنيا، لا يوجد فيها أمل في الحياة تجعلك عند قراءتها مهموماً ميؤوساً من عيش حياة راغدة هانئة، تجعلك لا تفكر أبداً أنّ هناك من يعيش حياة منظمة مرتبة، ترى حركة غير عادية لما تمر بالمقهى بعضهم واقف على رؤوس القاعدين يشجع الفائز أو يساعد الخاسر و ينتظر دوره وسط حشد لا تظهر فيها طاولة المتنافسين.

هكذا هي حياتهم كل يوم، لن يملوا و لن ينزعجوا من هذا الروتين.

- توفيق: اجلس،

أشار إلى النادل و نظر إلى محمد و قال له: ماذا تشرب؟

- محمد: لا شيء أخي، كأس ماء فقط.
- توفيق: لا لا، هات عصيراً بارداً. كيف حالك؟ هاذي غيبة مراكش تبان يا خويا.
- محمد: و الله الأمور بخير، الحمد لله، و أنت؟ هل من جديد؟

يعد توفيق من بين أصدقاء محمد الأوائل و المقربين له لكنه لم يعد يلتقيه منذ زواجه، حيث تغيرت فيه أمور كثيرة أصبحت لديه مسؤولية فكان يعمل طوال الأسبوع و لا يرتاح إلا قليلا كانت لديه ديون و مصاريف زائدة ككراء شقة صغيرة و فاتورة الكهرباء و الغاز و الماء أيضاً بعد أن صارت لديه مشاكل عائلية كادت تؤدي به إلى تطليق زوجته بعد مرور أربعة أشهر فقط من زواجهما، و كانت حاملاً في مرحلة الوحم فلم يكن يعرف كيف يتعامل معها، فقرر أن يرحل و يقوم بكراء شقة صغيرة لتفادي المشاكل التافهة بين زوجته و أمه، و الذي كان يتوسطهما دائما في حل النزاعات فلا يعرف كيف يحكم من الظالم و من المظلوم.

- همس توفيق في أذن محمد و ضرب على كتفه و هو يقول:
لقد رزقت بنتا، و سميتها جوليا، ابقى أنت على حالك دون
زواج ههههه

ابتسم محمد و في نفس الوقت تفاجأ لسماعه هذا الاسم، فقد سقط عليه كالصاعقة، حيث أنه أمسك أعصابه و تمالك نفسه كي لا يظهر ذلك لصديقه ، بارك له و تمنى أن تتربى في أحضان والديها و تكون خيرا لهما.

- توفيق: ماذا تنتظر يا محمد؟
- محمد: حاولت و لكن الأمور بيد الله يسيرها كما يشاء.
- توفيق: اتكل على الله و لا تضيع الوقت.

- محمد: و الله الأمر ليس بيدي لأقرر، البنات أكثرن الشروط والتقاليد أصبحت لا ترحم أحدا، أصبح الزواج مكلفا جدا يا أخي، وبالرغم من ذلك حاولت لكي لا أندم. لعل قدر الله يخبئ لي شيئا أفضل، ربما أتزوج أجنبية ههههههههه، و من يدري... صح؟
- توفيق: أتمنى أن تسهل لك الأمور يا أخي..

تذكر محمد في المساء عند وصوله المنزل و جلس في غرفته ما جرى اليوم بينه و بين توفيق، و قال في قرارة نفسه: أكانت صدفة؟! !!

أ أصبح العرب يسمون بناتهم بهذا الاسم؟ آه يا جوليا لو تعلمين ههههههه.

ليتني أستطيع تفسير هذا الأمر، كل شيء خلقه الله بقدر ولم يكن عبثاً، فالأمور التي تحدث لنا يجب أن نعرف معناها، الآن عرفت أن الحياة تقسو على الأشخاص الذين يريدون حياة غير معهودة، و تستمر في القساوة مع ضغوط منتشرة في كل مكان كأنها أشباح تنتظر مرورك لتتنقض عليك في أول فرصة من الضعف.

جلس محمد يمسك قلما و بعض الأوراق البيضاء ليطور مهارة كتابة الشعر و بعض الخواطر فقد أصبحت متنفسه الوحيد الذي جعله يكون مرتاحاً رغم كل شيء، لم يكن يختار العناوين في البداية، بل كان يهتم بالمضمون و كل ما تمليه

عليه ذاكرته و قلبه كان يدون بلهفة و شراهة و لا يترك أي
فكرة تهرب منه:

هاجرت نفسي لتراك أنت حقيقة أم خيال زارني في يوم كان
عبوساً قمطيراً

كنت أعد الثواني و الساعات حتى أصبحت عندي الأيام سحفاً
مريراً

طالما تمنيت رؤياك و الجلوس أمامك فأحيا بعد أن كنت عبداً
منسياً

يا ليتني أستطيع أن أخفي بكائي و أحبس دموعي التي
حطمتني تحطيماً

شتاء ربيع صيف و خريف كان صعباً و حملاً عليّ ثقيلاً

لست أدري أنفسه شعوري شعورك بين العشق و الشوق يا
جوليا

سنة هاجرت فيها.. و أنت تعرفين المدى كان جدا طويلا

ما بين بين، بين هنا و هناك أنت روعي لتراك فلم تستطع
لقياك

كأنه غدر الزمان أعبني لا حقيقة رأيتك و لا خيالك زارني
فبقيت صورتك عالقة في الأذهان.

الحَرْقَة

*بعضهم يصنع منطقاً غير منطقي و يؤمن به و يدافع عنه
بكل ما أوتي من قوة، فهل هذا منطق؟

في مكان غير بعيد مر محمد و بعض الشباب من هنا فاستوقفتهم عبارات غير مفهومة و التي تجهدك لتفكيك حروفها مكتوبة على لافتتين، هذا المكان يقع عاليا نوعا ما على حافة طريق غير معبد ترابي يقع بين مجمع سكني وقريب من مدخل الغابة، مقابل طريق وطني، هي قطعة أرضية على سفح جبل من التراب و على حافة الواد، هذه القطعة ليست بملكية خاصة، أرادها شخص يدعى "الحاج" أن تصبح ملكه فاستولى عليها لأنه لا يملك أي قطعة أرضية و لم يرث رزقا فقام بجمع مخلفات من البلاستيك وقطع من الحديد و وضع سياجا من الأسلاك و الخشب فأصبح في كل مرة يوسع و يطمع أن يمتلك أكثر.

أضحى لعمي "الحاج" حقل و بستان و زرع، فبدا كأنها رزقه الحقيقي و لكي لا يقترب منها أحد قام بكتابة لافتتين على قطعتين من بقايا حديد مؤكسد و لكن هل ما كتبه السي "الحاج" يفهمه الجميع و هل رسالته تصل؟! !!!

كان بإمكانه أن يكتبها باللغة العربية ليفهمها كل مار عليها و يريد قراءتها، لكن مستواه الدراسي جعله يكتبها بلغة غير

عالمية، و ما زاد من صعوبة فهمها أنه وضع عدة حروف في غير مكانها.

حسب تفكيره البسيط يبدو له أنه استطاع توصيل الرسالة وذن سي "الحاج" أنّ كل مار من هنا سيقراً اللافتين ويفهمهما.

رسالة عمي "الحاج" لم تكن حتى مشفرة و معقدة، بل لا أساس لها في قواعد أي لغة:

APLE MOI ANCA .De. CASSE. SLVP

APL MOI. De FEnce domTRE -A- LENTERUR

SLVP

هذه الرسالة كان بإمكانها أن تكون بسيطة لو كتبت بالعربية: ممنوع الدخول، اتصل بي في حالة السرقة، من فضلكم..

و لكن هذه هي طبيعة أشباه الفلاسفة و أشباه الفنانين وأشباه الكتاب و من يعتقدون أنهم مثقفون أو مصلحون و لكن مفسدون و هم لا يشعرون نعم مفسدون حقاً، يا ليتهم يشعرون.

لديهم حب الامتلاك حتى و لو كان بطريقة غير شرعية، لأنهم لا يفرقون بين الحلال و الحرام و الممنوع و المسموح، قد يقحمون أنفسهم في مجال له أهله و هم لا يعرفون مدخله ومخرجه و من بداخله فسيؤذون أنفسهم و غيرهم و هم لا

يشعرون، يظنون أن الحياة مبنية على العبث، هؤلاء من أفسدوا الإدارة و أفسدوا السياسة و كل مجال دخلوه عبثوا به، حتى أصبح الرجل المناسب في المكان المناسب من الأشياء النادرة الحدوث.

بدأ محمد يخبئ أسراره بين أبيات الشعر و قوافيها و بين ثنايا الخواطر و يحفظها كما تحفظ الكنوز، كما جعلها هواية يلجأ إليها بين الفينة و الأخرى و علاجا نفسياً يداوي به روحه المسكينة لما يدخل البيت و يختلي في غرفته، و في المساء يذهب للقاء صديقه توفيق و بعض الشباب الذين تعرّف عليهم مؤخراً يونس، أمين و علي، كان يدور حديثهم حول السفر و الحرقه إلى بلدان لعلها تكون فاتحة رزق لهم.

يونس شاب جرّب الحرقه إلى اليونان عبر تركيا و عاد إلى أرض الوطن بعد أن فشل عدة مرات و هو يحاول الدخول إلى الأراضي اليونانية مشياً على الأقدام فلما نفذت منه الأموال و ضيّع جواز سفره اضطر للرجوع إلى الجزائر، فكان يحكي دائماً عن تجربته في بلاد الغربية و أصرّ على العودة بأي طريقة كانت و في أول فرصة تتاح له، فأصبح موضوع الهجرة مشوقا بالنسبة لهم، و أقنعوا محمد بالحل الأخير ألا و هو الهجرة السريّة عبر القارب، فأصبح الشباب يجمعون الأموال و أسسوا مجموعة في الفايسبوك يجتمعون فيها كل الأوقات لتبادل معلومات السفر و مساءً يجتمعون في مقهى الحي، كانوا على اتصال مع منسق من الغرب الجزائري الذي كان يمدّهم بجميع معلومات الرحلة، لم يتبق

لهم إلا بضع أيام و يكونون أمام تجربة الهجرة على متن القارب كانوا متفقين على اليوم و المكان، فبدؤوا بتجهيز أنفسهم حيث كان بعضهم يعمل في الأسواق طوال النهار، يتاجرون في بيع السلع حسب الموسم: ملابس، أواني، أدوات مدرسية وحتى الفواكه فأما أمين كان بائعا في محل للألبسة النسائية ويونس كان له محل لبيع المأكولات الخفيفة بشراكة مع أخيه الأكبر، و علي كان يعمل تقني في تصليح الهواتف النقالة والتابلات...

هدفهم الوحيد هو جمع المال الكافي لحجز مكان بالبوطي وتركيزهم الوصول إلى أي نقطة من نقاط الاتحاد الأوروبي.

أصاب محمد الأرق في تلك الليالي الأخيرة كان يفكر في كل شيء، كان يعلم علم اليقين أنه مقبل على مجازفة خطيرة تؤدي به إلى الموت، يخسر فيها كل ما بناه، لا ماضيه يذكره في طفولته و لا مستقبله يفتح له الأمل و لا حاضره يستمتع به أو يسليه بحل مشاكله.

كان يُحدِّث نفسه كثيرا حتى أنه كان ينام على وقع الكوابيس و يفكر في كيفية جمع الأموال، لا عمل و لا حرفة و لا مصدر دخل من جهة أخرى، هل يقترض من الأصدقاء أو من العائلة، ما العمل إذن؟ هل يترك فرصة الهجرة تذهب أم يبقى هنا يتخبط في المشاكل الروتينية المملة، أسئلة كثيرة تتساقط كالشتاء تثقل رأسه.

في ليلة من الليالي رأى فيما يرى النائم أنه يلحق بثلة من الشباب قد عبروا نفقاً مظلماً فأصبح متأخراً عنهم، كان يحمل محفظة على ظهره و قد جهز نفسه لرحلة بين الدروب الوعرة و بعد سماعه صوت القطار بدأ بالجري فوق الخط للسكة الحديدية و التي كانت تبدو قديمة جدا مؤكسدة و مملوءة بالحشائش الطويلة اليابسة و الأشواك التي كانت تكاد تغطي معظم الخط الحديدي فبقي يجري بالرغم من الجروح التي أصابته من الشوك وكان ينظر بين الفينة و الأخرى خلفه و هو حريص على أن لا يسقط لأنه بين خطرين خطر القطار الذي يكاد يلحق به، صفيهه يقترب أكثر رغم أنه لم يظهر بعد و خطر المرور من النفق لأنه وحيد لا يعرف ما ينتظره بالداخل فكان مركزاً صوب الشعاع في مخرج النفق من الجهة الأخرى حتى وصل إلى مدخله و لما وقف في الظل صادفته كلاب شرسة ضخمة جدا تكشر أنيابها و تتبجح نباحاً لم يسمعه من قبل و لم يشاهد قط ذلك النوع من الكلاب، كانت تبدو مجتمعة مع بعض تظهر أنها في جسد واحد فما كان عليه إلا التراجع و بعد أن ذهب منه الخوف وجد من ورائه عصا حديدية حملها و قرر المرور بكل ما لديه من قوة، تقرب من المدخل فبدأ أكثر ظلاماً و أصبحت الكلاب أكثر شراسة من ذي قبل فبدأ بالتراجع إلى الخلف و هو يدافع عن نفسه حتى وصل إلى نور الشمس و وقع إلى الخلف على السكة الحديدية فزادت دقات قلبه بالخفقان من الخوف و هو يسمع صوت القطار ورائه تماماً فقلب نفسه بسرعة لينجو من الدهس، في تلك اللحظة استيقظ من نومه مفزوعاً و كأنه لم يصدق ما

جرى له، بدأ بالاستغفار واضعاً يده على رأسه و هو يعيد تذكر ما رأى، دقائق قليلة بدأ بسماع أنين و صوت الأوجاع يصدر من غرفة أبيه فذهب إليه وجده مع أمه تعطيه الدواء، زاد الألم على غير عادته.

قال لأمه: لا بد من أخذه إلى المستشفى.

- محمد: يا أبي لست على ما يرام يجب أن نأخذك حالاً.
- حسان: لا يا ولدي سأرتاح، سأرتاح.. لا تتعب نفسك، اذهب إلى النوم.

نهض أخوه الأكبر اسماعيل و أتاهم مسرعاً.

- فقال له محمد: اذهب حالاً أخرج السيارة، الأمر مستعجل يحتاج أبونا إلى رعاية خاصة و فوراً.

وصلوا به إلى المستشفى الوحيد في المدينة الذي يتزاحم فيه المرضى و الزوار، يقصدونه من مدن قريبة و بعيدة ناهيك عن سكان المدينة و ضحايا سير الطرقات فعند دخولك قاعة العلاج "الاستعجالات" تشم رائحة الكحول الطبي وملاءات المرضى، حيث ترى بقع الدماء في عدة أماكن، و لا تتعجب عند رؤيتك لغرف غسيل الموتى مفتوحة، و ترى خادمة التنظيف تنهي و تأمر و تقدم خدمات للأقارب وأصحاب المال، ممرات الدخول إلى غرف المرضى موصدة بأبواب من الحديد كأنك في سجن أو مستشفى الأمراض العقلية تفتح فقط عند أوقات الزيارة و لأصحاب الوساطة.

بعض الكراسي ليست صالحة للجلوس تماماً لكن لا حل هناك إلا أن تركز على مرضك و تقاوم أوجاعك و تنتبه جيداً إلى أي شخص تعرفه يعمل في المستشفى قد يكون ممرضا أو طباحاً أو حارساً فلربما يساعدك للمرور عند الطبيب دون الانتظار مدة طويلة، قاعات مليئة بالمرضى و عائلاتهم بالقرب منهم، تعب يسيطر على أجسادهم و استياء يغمرهم ويأس غالب عليهم، ترى بعضهم يجلس الأرض و بعضهم يفترشها و آخر يجول بين الغرف يبحث عن الطبيب و يسأل الممرضات و أعوان الأمن فلا أحد يعطيه الحقيقة حتى و لو كانوا على علم بمكانه.

بعد ساعة و ربع من الانتظار جاء دور عائلة محمد للدخول إلى الطبيب و بعد فحصه و معاينة ملفه السابق الذي يحوي بعض الأشعة السينية و وثائق الأطباء الذين زارهم من قبل فطلب منه الزامية إجراء تحاليل الدم و البول و بعدها قرر الطبيب أن يبقى العم حسان بالمستشفى فحالته حرجة تستدعي علاجاً مستعجلاً ربما يبقى عدة أيام تحت المراقبة و المتابعة الطبية، فبعد الاجراءات الإدارية ترك محمد و أخوه أباهم في الغرفة وحيداً ودّعوه راجين من المولى أن يشفيه، ظلوا يزورونه في عدة أوقات، في الصباح الباكر يحضرون له فطور الصباح و بعض الجرائد و في وقت الغداء يعودون بحساء وفاكهة، لا يتفقون في ما يقدم من أكل في المستشفى، كذلك في وقت العشاء يعودون و يجلسون معه يؤنسونه.

في ليلة بدر بدأ وصول الشباب الواحد تلو الآخر
فاجتمعوا في زاوية على شاطئ نصفه رمال و النصف الآخر
صخور طالما كان يخفي هذا المكان أسرار من كان يجالسه
وطالما كان يودع العديد ممن يهاجره، كان هناك صياد في
الاستقبال بجانب قاربه المميز يتأرجح بين قوارب صيادي
السماك.

همس الصياد لأحدهم:

- اكتملت المجموعة؟

- أظن أنه قد بقي شخص واحد (أحد من الشباب).

- سنتنظر 5 دقائق إن لم يصل لا يمكننا انتظاره.

تأخر محمد على الموعد، لم يستطع المجيء لأنه اضطر
أن يبقى بجانب أبيه حتى يخرج من المستشفى سالماً معافى.

صعدوا القارب جميعاً و اختار كل واحد منهم مكاناً يناسبه
و أبحر بهم الصياد إلى وجهة مجهولة، في الواقع كانت
مرسومة في أذهانهم فقط، لكن لكل منهم تخيلاته، البحر مثل
الصحراء لا يوجد طريق واضح للعيان، تحتاج إلى عُدّة
ووسائل تُسهّل طريق الوصول، كان البحر هادئاً و السماء
يظهر جزؤها صافياً في الوسط ليظهر البدر كاملاً يضيء
البحر، بدأت الرحلة و السكون يعم القارب فلم يتجرأ أحد على
فتح حوار للتعرف، كل يعيد شريط حياته و واقعه و أحلامه
التي رسمها و لم يتحقق منها شيء لحد الآن.

الآن كلهم أمام أمر الواقع و الحقيقة فقد وضعوا أولى الخطوات التي توصلهم إلى تحقيق أولى أحلامهم، لعل بإمكانهم أيضا أن يمحووا ماضيهم المؤلم..

الكل كان متفائلا بهذه الرحلة أو بالأحرى هذه المخاطرة، ينتظرون الغد بشغف و ينظرون إلى أبعد نقطة في الأفق لعلهم يرون أنوارا تضيء من الجهة الأخرى، ساد السكون بينهم، بعد أن أصبح البحر من أمامهم و من ورائهم و عن أيمنهم و عن شمالهم، قام بعض الشباب بفتح حوار لكسر العزلة التي اتخذوها فكان أحدهم يوثق بهاتفه صوراً و فيديوها لرحلة العمر و يتبادلون أطراف الحديث فيسألون بعضهم من أين أتوا و من أي ولاية، و بعضهم يتحدث بالكوميديا الساخرة للترويح عن أنفسهم و البعض الآخر يغني و آخر تائه عقله كسكران ثقل لسانه و اضطرب عقله فأصبح يعيد و يتذكر شريط حياته: طفولته، عائلته، الحي الذي يقطن فيه، همومه، حبه لفتاة تزوجت بغيره و تركته، قلادة أمه التي قدمها لها أبوه هدية و التي أخذها و ابتاعها دون علمها ليكمل ما تبقى من المال الذي حدده صاحب القارب، كل تلك الصور أتته في ثوانٍ تمر بسرعة غير منتظمة.

حاول محمد اللحاق لكنه لم يستطع أن يترك أباه على تلك الحال فتخلف عن الموعد و لم يعرف ماذا يفعل، ضاعت منه فرصة العمر مرة أخرى طالما كان ينتظرها، مرحلة من القلق و الهستيريا المترسبين في أعماقه يشلان تفكيره في حياة

فعجز عن ايجاد الحل في كل مرة، كلما طرق باباً وجده موصداً.

بعد يوم أضحت المدينة على وقع صدمة، حادث موت جماعي، انتشر الخبر كالصاعقة حتى وصل إلى جميع أنحاء الوطن، شباب في مقتبل العمر ضاعت أحلامهم بين ليلة وضحاها أعلنت عنهم القنوات الوطنية بفقدانهم في عرض البحر منهم من وجدت جثثهم و منهم من هم في عداد المفقودين، لم يبق إلا ثلاثة أنقذوا من طرف خفر السواحل.

كان محمد جالسا مع توفيق داخل المقهى مساء بعد الظهر، فتابعا الخبر من خلال إعلان ظهر في أسفل الشاشة بخلفية حمراء (عاجل): انتشار جثث لحرقاة على شاطئ "كاب فالكون" و إنقاذ ثلاثة آخرين حيث لم تحدد هويتهم بعد، أصبح العاجل في جميع القنوات بتعابير ملفتة للانتباه أما صفحات الجرائد تكتب عن الحدث كعادتها بعناوين مختلفة و جذابة وصور في الواجهة الأولى: إنقاذ ثلاثة "حرقاة" و انتشار أربعة (4) جثث و خمسة (5) في عداد المفقودين بوهران.

اختار الشباب وجهتهم للدخول إلى إسبانيا عن طريق الهجرة الغير الشرعية، و لكن لسوء حظهم لم يصلوا، الجريدة فوق طاولة من طاولات المقهى الذي اعتاد محمد المجيء إليه للقاء الشباب لكن هذه المرة لم يلتقهم و لم تصله أخبارهم

فالتقى بتوفيق فقط حيث فتح الجريدة ليقراً ما كتبه الصحفي حول الكارثة التي نجا منها بسبب مرض أبيه.

أخذ يقالب الصفحات ليصل إلى ذلك المقال: كان مندهشاً وآثار الحزن بادية على وجهه..

- تواصل وحدات الحماية المدنية بدعم من حرس السواحل عمليات البحث و التمشيط على طول الشريط الساحلي الوهراني بحثاً عن " الحراقة " الخمسة المفقودين بعرض البحر بعد انقلاب قاربهم والذين كانوا ضمن اثنا عشرة 12 حراقاً تم إنقاذ ثلاثة منهم فيما تم انتشاراً أربعة 4 جثث تعرضوا للغرق على بعد ستة 6 أميال بحرية عن شاطئ كاب-فالكون بعين الترك في وهران.

- الحراقة الاثنا عشرة 12 تتراوح أعمارهم ما بين 22 و 29 سنة، انطلقوا من الشاطئ على متن قارب مزود بمحرك تعرض للانقلاب بسبب اضطراب الأحوال الجوية، قبل تلقي وحدات الحماية المدنية في حدود الساعة السابعة صباحاً إنذار نجدة، ليتم التنقل على الفور إلى عين المكان باستعمال زوارق مطاطية نصف صلبة تابعة للحماية المدنية إلى جانب غواصين، أين تم إنقاذ الحراقة من الموت الحقيقي فيما تم انتشاراً ثلاثة 3 جثث من ولاية عين الدفلى

وجثة من ولاية مستغانم، عمليات البحث مازالت متواصلة إلى حد الآن بحثا عن المفقودين الخمسة .

- الحرقاة الثلاثة الذين تم إنقاذهم قدمت لهم الإسعافات الضرورية قبل تحويلهم من قبل عناصر الدرك الوطني والتحقيق معهم حول ملابسات محاولتهم الهجرة غير الشرعية لالتحاق بالسواحل الاسبانية.

س.م

بعد الانتهاء من قراءة المقال بصوت عال ليسمعه معه توفيق و الحزن باد على وجهيهما، تأكدا من موت يونس، أمين و علي حيث زاد تأكيد الخبر في المقهى لأن بعض الشباب كانوا جيرانا لهم.

- توفيق: الحمد لله يا محمد على نجاتك من الموت المحقق.

كان محمد يقول في قرارة نفسه أن هناك أمورا جميلة لا بد أن تحدث لي يوما، هناك أمل، هناك شيء أعيش لأجله، لا بد للأيام أن تكشفه، سبب نجاتي دعوات خير.

- محمد: لا حول و لا قوة إلا بالله، يا توفيق أنا أدفع اليوم، لا تضع يدك في جيبك و الله.

- توفيق: إنا لله و إنا إليه راجعون، احمد الله يا محمد على نجاتك، تخيل لو كنت معهم اليوم. و الله لم أكن راضيا أبدا على القرار الذي اتخذته أنت و الجماعة،

ليست طريقة لحل المشاكل، فهناك مشاكل أخرى أكثر تعقيدا هناك، حتى إذا وطئت أقدامهم أرض أوروبا لن يكونوا بخير و لن يكونوا أفضل من معيشتهم في هذا البلد. هذه الأرض التي نلعبها صباحا مساء ما هي إلا أرض أجدادنا، تستر عورتنا و تغطي عيوبنا، و تداوي جراحنا، من المؤسف أنه أصبحنا نستمتع بمحو ذكرياتنا و تاريخنا، فكيف لنا أن نكون أسيادا بطمس التاريخ.

شبابنا يملؤهم الغضب و الكره مما يحدث من استفزازات لمسؤولين في الدولة و كأنهم يعبثون بمشاعرهم و حتى بثروات البلاد التي لم يذق طعمها المواطن البسيط، ترى الشباب ليلا يملؤون الساحات المهجورة مثل الكلاب المشردة يختارون الليل مثل الخفافيش لا يدخلون بيوتهم حتى الساعات الأولى من الصباح بعضهم يبيع المحظور و الآخر يشتريه ليجتمعوا بغرض التنفيس عن مشاكلهم حيث أن بعضهم لا يتوقف عن الشكوى من سوء الأمور فيعتقد أنه ليس مسؤولا عما آلت إليه البلاد.

أليس كلنا مسؤول؟ و كلنا مسؤول عن رعيته؟

واقع ملعون لا يصدقه إلا الحمقى الذين لا يدركون حقيقة الأمور، تسري بهم الرياح كما تشتهي، واقع صنع رجالا أو بالأحرى أشباه رجال سيكشفهم التاريخ و يرجعهم إلى حقيقتهم.

التهيو

بالطبع، أنا أحتقرُ بلدي من الرأس إلى أخمص القدمين..
لكنني لا أسمعُ لأي غريب أن يبادلني هذا الشعور.

ألكسندر بوشكين

في يوم الجمعة الثامن من شهر مارس ذهبت جوليا إلى محل بيع التحف و الهدايا من أجل أن تزودهم ببعض الأعمال الجديدة المصنوعة يدويا من علب و جواهر و أشياء تقليدية، أصبحت جوليا تعرض أعمالها بهذا المحل من أجل بيعها، لم تكن محتاجة إلى المال و لكنها كانت تفضل أن تملأ وقت فراغها في العمل اليدوي و الطرز و تجسيد أفكارها على أرض الواقع حيث أن صاحبة المحل أرادت تشجيعها و هي التي قد رأت من أعمالها تحفة يجب أن تعرض للبيع، اختارت مكانا مناسباً بجانب المركز التجاري: "تسوم مينسك" ЦУМ МИНСК الذي يعد من بين أكبر مراكز التسوق و أقدمها في العاصمة "مينسك" يقصده زبائن من بيلاروسيا و كذلك السياح نظرا لتواجده بشارع الاستقلال رقم 54، حيث معظمهم يقتنون هدايا و ذكريات للعائلة و الأصدقاء و الألعاب للأطفال. فلا بد من الرجوع إلى الأهل بشيء يذكرك بعطلتك و رحلتك و أيامك التي قضيتها في هذا البلد الجميل، بلد مميز بتقاليده مميز بحضارته و بشعبه أيضا، بلد تحس بالراحة والأمان عند زيارتك له نظراً لتطبيق شعبه

النظم و القوانين، شوارع المدن واسعة و نقية، حدائق جميلة ومبهرة، شعب لطيف و محترم.

لما كانت جوليا تذهب إلى المحل تأخذ وقتا للجلوس مع صاحبة المحل و مقابلة بعض الزبائن الذين اعتادوا الشراء عليها و الذين رأوا أعمالها من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

كانت قد التقت زبونة تزور المحل لأول مرة و قد أرادت اقتناء شيء أعجبها،

- جوليا: مرحبا بك سيدتي
- الزبونة: مرحبا، عذراً، من فضلك، أعجبتني تلك العلبة، كم سعرها؟
- جوليا: 20 روبل، أظنك تريدين إهداءها لأمك؟ (مبتسمة) تفضلي..
- الزبونة: إنها رائعة، لا لا ليس لأمي..
- جوليا: آ .. ظننت ذلك؟ عفوا... سألتك فقط لأختار لك ما يناسب، لأن اليوم عيد المرأة.
- الزبونة: شكراً، في الحقيقة أود أن أرسلها إلى زوجي بالجزائر.

أدارت جوليا رأسها بسرعة بطيئة بعدما كانت منهمكة ومطأطأة الرأس تضع العلبة في كيس و قالت:

- يعمل بالجزائر أم جزائري الأصل!!

اندهشت جوليا لسماعها هذه المعلومة هل هذا هو قانون الجذب؟ عندما نفكر في الشيء و نركّز عليه نسمعه أو نراه في كل مكان و في أي وقت.

- الزبونة: بل جزائري، و سيأتي قريبا ليعيش معي هنا، كنا قد التقينا بتونس من أجل الزواج. رأيتك تعجبت عندما قلت لك أن زوجي جزائري، (تضحك..)
- جوليا: لا فقط.. كنت أظن... إنهم يتحدثون اللغة العربية، لا يتقنون اللغة الروسية فكيف كنتم تتواصلان مع بعضكما؟..
- الزبونة: هناك عدة طرق للتواصل، إنه يتعلم كل يوم كلمة وحتى الجمل، إذا أحب زوج زوجه فيإمكانهما أن يتوصلا بثتى الطرق، لا تنسى لغة العيون و لغة الجسد يا سيدتي، فلغة الكلام لم تكن عائقا، و هواتفنا الذكية تحمل عدة تطبيقات للترجمة فهي تساعد أيضا.

اندهشت جوليا

- جوليا: شكرا سيدتي على هذه المعلومات القيمة، بالتوفيق لكما،مرحبا بك في محلنا سيدتي..
- الزبونة: مع السلامة.
- جوليا: مع السلامة.

عانت بيلاروسيا كثيرا من ويلات الاستعمار و الحروب وبعد تفكك الاتحاد السوفياتي كان لا بد لها أن تفرض نفسها

لتبقى صامدة و مستقلة حتى أنها لم تنتج أيضا من الغبار النووي جراء الانفجار الكبير في محطة تشيرنوبيل للطاقة من جارتها أوكرانيا عام 1986، و لكن بعد تأسيسها في 25 من أغسطس سنة 1991 استرجعت عافيتها و أصبحت لها هوية وطنية و أصبحت اللغتان الرسميتان فيها هي البيلاروسية والروسية و ذلك بعد إجراء استفتاء شعبي سنة 1995، تأثير الحروب له أثر كبير من كل الجوانب قد يغير مالم يكن في الحسبان.

محمد يعلم جيدا أنه إذا بدأ بدراسة اللغة الروسية يمكنه التواصل بكل سهولة مع المتحدثين الأصليين فاختر أحد المعاهد الخاصة لتعليم اللغات حيث كان من الصعب أن تجد أستاذا متخصصا في تعليم هذه اللغة، كان يدرس ساعتين في الأسبوع لم تكن كافية لإتقان لغة من أصعب اللغات حتى الطلبة الجامعيون المتحصلون على ليسانس في الأدب الروسي لا يتقنونها جيدا، فكانت أحسن وسيلة و طريقة لإتقان أي لغة هي العيش مع أهلها و التعامل معهم فربما يحتاج الأمر لذلك سنة كاملة تجعلك تجيد الكلام و التحدث مع أهلها و التعرف على ثقافتهم.

بدأ حصصه الأولى في تعلم أبجديات اللغة الروسية التي كان عددها ثلاثة و ثلاثون (33) حرفا معظمها يتغير شكلها لما تكتب بالحجم الصغير كان الأستاذ يعلمهم كيفية كتابتها وكأنهم أطفال صغار يتعلمون كتابة الخط.

في كل مرة كان الأستاذ يحدثهم عن الثقافة الروسية وتاريخ الاتحاد السوفياتي و حتى تاريخ تأسيس اللغة الروسية التي بدأت مع ألكسندر بوشكين، ذلك الشاب الصغير صاحب البشرة القاتمة التي لم تكن مألوفة آنذاك عند الشعب الروسي، عاش حياة الترف في وسط أسرة من النبلاء والده كان شاعرا ساعده في تنمية موهبته الشعرية حتى أصبح يلقب بأمير شعراء روسيا و كان مؤسس الأدب الروسي الحديث.

جعل الأستاذ من حصصه في تعليم اللغة لذة لطلبته الذين عاد بهم إلى القرن الثامن عشر، فيحكي عن الأدب و عن الحرب و حتى الرومنسية الروسية، فكان يذكر بوشكين دائما ذلك الرجل الذي فتن بالثقافة العربية و الإسلامية و تأثر بالقرآن الكريم، حيث تقول بعض الروايات أن أصوله عربية ترجع إلى إبراهيم حنبل و يتأكد من ذلك قصائده الشعرية: "وحي القرآن" و "الرسول" و "ليلي العربية" و "بنت القبطان" هذه الأخيرة التي ترجمت إلى اللغة العربية عام 1898، كانت نهايته مأساوية حيث توفي متأثرا بجراحه في عز الشباب ولكن بقي يذكره التاريخ.

أهدت روسيا تمثالا لشخصية بوشكين سنة 1999 لبيلاروسيا و الذي وضع في حديقة الحرية "فيكتور بارك" حيث صمم من طرف الفنان النحات "أوريخوف يوري قريغوريفيتش" و المهندس المعماري "يوري بانتيليو مونوفيتش قريغوريف".

أخذ محمد من الدروس في المستوى الأول ما ساعده على مراسلة جوليا أحيانا باللغة الروسية مما تعلمه في المعهد فقد نجح في حل الشيفرات الثلاث و الثلاثين و أصبح بإمكانه قراءة جملة مكتوبة بالروسية و حتى الكتابة.

- محمد: Доброе утро صباح الخير
- جوليا: Доброе утро ((صباح الخير..)))
- محمد: Как дела ? كيف حالك؟
- جوليا: хорошо جيد !!، отлично ممتاز. Как дела ? كيف حالك؟
- محمد: хорошо جيد ، متعب بسبب العمل، و لكن الحمد لله على كل شيء و في كل وقت.
- جوليا: نعم، نشكر الله على كل شيء، أتعلم، أشكره في الصباح و في المساء لأنه أعطاني القوة لأنهنض وأعمل و أعطاني القوة لأنام جيداً. قل لي، كيف كانت نهاية الأسبوع؟
- محمد: جيّدة، أعمل في كل وقت و كأنه ليس لدي عطلة نهاية الأسبوع.
- جوليا: يجب أن تأخذ بعض الراحة، أتمنى لك كثيرا من القوة و الصبر.
- محمد: نعم، شكرا جزيلا لك..
- جوليا: إن الوقت متأخر، يجب أن أنام لكي أنهض باكراً غداً..
- محمد: شكرا على هذا الحديث، تصبحين على خير

- جوليا: تصبح على خير، أحلام سعيدة

أطفأت جوليا التلفاز الذي لم تنتبه إليه و لم تعرف ما كان برنامج اليوم، أطفأت الضوء و خلدت إلى النوم، كانت الساعة 00:30، نامت نوم الطفل الصغير بعد أن تغطت بغطاء مزخرف برموز تقليدية تدل على مدى تمسك البيلاروسيين بالماضي، رموز تعبّر عن الحياة الريفية والعائلة و المرأة البيلاروسية.

التقى محمد مع سمية في المحل الذي كان يعمل فيه علي أين أنتت من أجل تصليح هاتفها فوجدته واقفا متكئا على الرف ويده على خده شاردا الذهن،

- سمية: كيف حالك محمد؟

- محمد: أه سمية، كيف حالك؟ لم أنتبه لك، عذرا الحمد لله على كل حال.

- سمية: لم نلتق منذ مدة، هل تعلم قد قرأت مقالك بالصدفة، وجدته في جريدة من الجرائد التي يضعونها عندنا في الإدارة، لقد أثر في كثيرأ؟ ألم تجد عملاً بعد؟

- محمد: أه، هههههه في الحقيقة لم أجد عملا يناسبني، ما زلت أبيع اللوحات الفنية التي أرسمها و لكن برأيك هل يعد هذا عملاً؟!.

في يوم من الأيام اتصل صحفي بمحمد لما قرأ منشوراته التي يضعها على الفايسوك من خلال ما يحدث له و للفنانين ببلده، فاقترح عليه أن يرسل له المنشور معدلا لينشره في جريدة تحت عنوان: صرخة فنان، فلم يمانع محمد لأنه لن يخسر شيئاً، أصدر المقال بعد يوم.

صرخة فنان:

إلى متى يبقى الفنان يحارب؟ و ماذا يحارب؟ لم حين يموت الفنان يضحى مشهورا أكثر و تباع لوحاته بأسعار خيالية و تقام له معارض في المتاحف و الأروقة التي كان يحلم بها من قبل و يكرم و تسمى عليه المؤسسات و ما شابه ذلك.

ألهذا كان يحارب؟

هل ينطبق هذا على كل الفنانين في العالم أم على الفنان الجزائري فقط؟

منذ أن قررت أن أصبح فنانا و أجول في أزقة الفن التشكيلي ظهرت لي القاعدة الأولى التي يجب تطبيقها ألا وهي: ينبغي علي أن أحارب من أجل إثبات الذات و شخصيتي في الوسط الفني، أي بمعنى آخر سأكون محاربا.

كنت أعني جيدا معنى الحرب فقبلت التحدي و الخوض في المعارك، كنت أعلم أن كل من سبقني من الشخصيات الفنية الذين أصبح لهم صيت كانوا محاربين و طبقوا هذه القاعدة،

جلهم تظهر أسماؤهم مع الأوائل عند البحث في قائمة الفنانين و لكن للأسف بعد وفاتهم، هذا يحدث فقط عند إضافة كلمة جزائري تسبقها كلمة فنان على محرك البحث، أما في الدول الأخرى يعيش الفنان بكل المميزات التي تزيد من قيمته وابداعه: ورشة خاصة، منزل فردي، سيارة، فريق عمل، ولوحات تعرض و تباع في شتى أروقة الفن في العالم دون عراقيل.

هل يجب على الفنان الجزائري أن يهاجر من أجل أن لا يطبق القاعدة الأولى بأرض الوطن و يعيش فنانا في حياته وبعد موته؟

أتساءل دائما لماذا كل هذه الأسئلة التي تزعجنا دائما تدور في أذهاننا و لا نجد لها أجوبة؟
و ربما أنت كذلك تتساءل نفس الأسئلة..

لماذا لا يكون هناك من يحلل أعمالنا و ينقدها و يتكلم عن شخصيتنا و أعمالنا بدلا منا، أليس من يسمي الفنان فنانا هو الناقد؟

كيف نجرؤ على تسمية أنفسنا بالفنانين بعد قبولنا لتجسيد القاعدة الأولى، ألا يجب أن نمر على مراحل؟

من أين يستمد الفنان التشكيلي الجزائري قوته و طاقته ليستمر و يحارب في الميدان...؟

الفنان يبدأ محاربا و إذا أصبح قائدا بإمكانه أن يصنع شخصية لا تموت، شخصية متكاملة لها فلسفة خاصة و رسالة نبيلة و إحساسها العميق و طاقتها الإيجابية تكمن كلها في لوحاته الفنية، لوحات بإمكاننا تحليلها فنيا و بسيكولوجيا و نفسيا، فنجدها تجسد حياة الفنان اليومية دون تكلف و تحكي أسرارها و مكبوتاته...، تخذل أيضاً لحظات لا نشعر بها و لا يمكننا التعبير عنها بالكلام .

إلى متى يبقى الفنان التشكيلي الجزائري يتخذ الفن التشكيلي كوسيلة للعلاج النفسي فقط؟

ألا يحق له أن يعيش فنانا بآتم معنى الكلمة، فيكون شخصية تُحترم من طرف الجميع و يصنع بفنه لوحات لها قيمة يسترزق منها في حياته، لأن الفنان لم يخلق من أجل الحرب.

للأسف الفنان في بلدي يحارب كل شيء، يحارب الجهل، يحارب الرداءة، يحارب البيروقراطية،... فإلى متى يا ترى؟

إذا وجدت القاعدة رقم واحد (01) فبالأكيد هناك القاعدة رقم اثنان (02)، القاعدة الثانية:

استغلال الأشخاص أمر غير عادي، أليس كذلك؟.. فما بالك باستغلال الفنان الذي هو منبع، مصدر، طاقة، مرجع و مدرسة، يستغلون وقته، صحته، علمه، طاقتهم وأفكارهم...

ماذا ننتظر من شخص نأخذ منه و لا نعطيه؟ حتماً سيأتي يوم و ينتهي كشجرة كانت يوماً تثمر و تظل بأوراقها فيعدما يبست أخذنا خشبها...

القاعدة الثانية لا يطبقها الفنان بل تطبق عليه و هو مكره، من طرف مسؤولين عادة لأنهم يتقنون ذلك جيداً ضمن بروتوكولاتهم، كأنهم يضعون القيود عنوة ..

اللامبالاة و عدم الاهتمام، عمل دون أجره، دعوات لحضور المجالس من أجل سد الفراغات دون مقابل، الأخذ دون العطاء،... كل هذه التفاهات والمشاكل و العراقيل يحاربها الفنان عندما يكون في أوج عطائه.

ألا يعلمون أنه عندما يطبق الفنان القاعدة الأولى (الخوض في الحرب) يعيش الشهرة قبل أوانها لأنه يعلم علم اليقين أنه يصل إليها لهذا يضعها دائماً نصب عينيه فلا يمكن أن يفشل أبداً، فلا داعي لأن تعدّ فناناً بالشهرة و تعده بالمساعدة و لقاء شخصيات و مسؤولين كبار في الدولة،... أهذا ما يبحث عنه الفنان؟ دعني أجيبك باسم جميع الفنانين: لا، لا ثم لا ..

يجب أن تعلم جيداً أن الفنان هو الشخصية الكبيرة و تدّكر هذا دائماً و أبداً فالفنان يبقى فناناً و المسؤول يغيّر و يذهب، فلا منصب ثابت أو دائم .

القاعدة الثانية تناقض تماما قاعدة (وين- وين win-win اربح و اربح)، و التي لو طبقوها لتغيرت الأحوال إلى الأحسن

و من فنان محارب إلى فنان يعمل و يجسد الفن بكل أريحية
ليضفي لنا جماليات في كل مكان و في كل زاوية و لا
ينحصر عمله في لوحة صغيرة معلقة بمسمار تملؤها خيوط
العنكبوت مع ذرات الغبار يمسحها و ينظفها لما ترسل له
دعوة إقامة معرض في مدينة لا يفقه مسؤولوها معنى الفن.

فإلى متى يظنون أننا نجمع أفكارنا في لوحة مربعة على
قماش؟ و نعلقها لتجلب لنا الحظ مثل خرابيش الدراويش؟

ذلك هو تفكيركم يا سادة يا كرام، أفكاركم مربعة، محدودة
مصفحة، شهباء مفرغة، دون معنى، تشتتهون سياسة
"الترقاع" (القص و اللصق) و تطبيق أوامر في غير محلها،..

إلى متى تظنون أننا مجانيين؟، في بلدان تفهم معنى الفن
يستشار فيها الفنان في جميع الميادين لأنها تعرف ماذا يخرج
من عقل الفنان، أنكركم عن فلاديمير زيلينسكي رئيس
أوكرانيا لم يكن سياسياً منخرطاً في حزب بل كان فناناً
كوميدياً، و كاتباً سينمائياً، و مخرجاً أيضاً، هل كنتم تظنون
أنه ينجح في تسيير دولة بطريقته الفكاهية المعروف بها؟...

عدم ثقتم بالفنان هو مرض نفسي و خوف من فقدان
مناصبكم...

صححوا هفواتكم و عدلوا تفكيركم.

-انتهى المقال-

- هذا هو حال الفنانين في الجزائر يقول سليمان صاحب المحل.

- سليمان: هاتفك لقد أصلحناه تفضلي.

- سمية: شكرا أخي، أمثال محمد كثيرون معظمهم غادروا الجزائر و نجحوا.

- محمد: ابييه، ماذا عسانا نفعل؟ يا ليتنا نبقى في بلادنا و لكن الظروف تضطرك للهجرة بأي طريقة.

- سليمان: لا تفعل ما فعله علي، كان يعمل هنا و لم ينقصه شيء... إنه طيش الشباب أدى به إلى الموت في البحار...

- محمد: بصراحة أصبحت أشعر بالذنب كوني متواجد هنا و لم أهاجر يوم سنحت لي أول فرصة للبقاء في أوروبا، كنت أظن أن الأمور ستتحسن لكن للأسف تعقدت أكثر و أكثر، أصبح هذا الوطن جائراً حقاً لن يسلم أحد من العقوبات المفروضة على المواطن البسيط فقط، أصبحنا نحلم بحصولنا على فيزا للسفر إلى بلدان أخرى.

الكل يبحث عن تأشيرة لزيارة البلدان الأوروبية أو الأمريكية أو دول بريطانيا العظمى، أو حتى دول أخرى التي لا تظهر على خريطة العالم، فقط لأنها تسهل إعطاء تأشيرة الدخول إليها، لم يقتصر هذا على الجزائريين فقط حتى البيلا روسيون أيضا يدرسون و يحاولون دراسة لغات أخرى كاللغة الألمانية لعلهم بذلك يجدون فرص عمل في ألمانيا،...

لكن القليل منهم من يتقن الإنجليزية أو الفرنسية و حتى الألمانية، تزداد الفرص كلما زاد اتقان لغة أخرى .

بيلاروسيا ليست ذلك البلد الذي يستقطب اللاجئين والمهاجرين عكس ما يتوقع الكثيرون، فيظن البعض أن لها نفس خصوصيات بلدان الاتحاد الأوروبي، فقوانينها جد صارمة، لا يمكنك العمل إذا كنت طالبا أجنبيا أو لم تكن لديك بطاقة إقامة.

وصلت جوليا إلى مقر عملها متأخرة، كانت تغيرت كثيرا و مردودها في العمل قل، حتى أن زملاءها لاحظوا هذا الأمر في الأونة الأخيرة، و بعد جلوسها في مكتبها رمقتها نظرات زملائها تحمل شيئا من الفضول و الشفقة و بعضهم يتهامسون لم تمض دقيقتان حتى دخل المدير و اتجه صوبها، كان يلبس معطفه الطويل الذي علق على جنبه زرين واحد خاص بالشركة و الثاني به علم بيلاروسيا، كان يبدو و كأنه لم يصح منذ البارحة ربما أكثر من شرب الخمر، وصل إليها و وضع يديه على مكتبها و قال لها لقد قررت تغييرك إلى مصلحة التسويق أظن هذا مناسب لك و ذهب دون أن ينتظر جواباً منها، حتى جوليا لم تفهم ما السبب الذي جعله يغيرها إلى مصلحة التسويق و لكن ربما تغيير الروتين قد يساعدها على التركيز أكثر في عملها.

بعد الانتهاء من العمل فضلت جوليا الذهاب إلى بيت جدتها لتطمئن على صحتها و تساعدها في تنظيف و ترتيب المنزل و شراء ما يخصها من بقالة و خضروات، كانت

تزورها مرتين في الأسبوع و فضلت هذه المرة أن تبيت عندها، بعد الانتهاء من أشغال البيت جلستا معا حيث وضعت جوليا رأسها فوق فخذ جدتها.

- جوليا: من فضلك يا جدي أريد أن تروي لي قصة من قصص الزمان كالتي كنت تحكيها لي في صغري.

جدة جوليا بلغت من الكبر عتيا و اشتعل رأسها شيئا لم يكن بمقدورها قضاء أشغال البيت من تنظيف و ترتيب و تحضير للأكل، جسدها كان يبدو نحيفا شقيا و متعباً لكنها مازالت تتمتع بموهبة الإلقاء و حس التشويق عندما تروي القصص الخرافية و الأساطير فتجعل السامع يستمتع و يتابع إلى النهاية.

- الجدة: كيف أحكي لك و قد نسيت تلك القصص.
- جوليا: احكي لي و أنا أذكرك عندما تنسين.
- الجدة: كان أبوك هكذا يحب سماع القصص و الأساطير حتى بعد أن كبر.
- جوليا: أريد أن أتذكر عندما كنت صغيرة و أنت ترويها لي قبل النوم.
- الجدة: ألم تجمع هذه القصص في كتب؟ لم لا تشتري كتباً و تقرئينها؟
- جوليا: في الحقيقة اشتقت لسماعها منك بصوتك، لأن لك طريقة خاصة و ملامستك لشعري و أنت تضفرينه

له إحساس خاص، أتذكر أنني كنت أنام دون سماع بقية القصة..

- الجدة: مهما كبرت تبقيين صغيرة في نظري، أطال الرب في عمرك. سأروي لك قصة جميلة، قصة الملك نيكولاي الذي كان يبحث عن فتاة يزوجها ابنه الأمير... كان الأمير إيفان شاب في العشرين من العمر قد تعلم فنون القتال و الفروسية على أيدي رجال محاربين كبار و تعلم القراءة و الكتابة على أيدي أساتذة و مستشارين مقربين من الملك، فقرر أبوه أن يزوجه و كان يعرض عليه بنات القادة والرجال الأغنياء حيث أنهم كانوا أيضاً يتقربون من الملك ويعرضون بناتهم للزواج، لكن ولده لم يكن يبالي بهن و لم يكن أصلاً يحب من يفرض رأيه عليه. في يوم من الأيام و كعادته في كل يوم يقضي ساعات خارج القصر، كان يفضل الذهاب إلى الغابة القريبة من أجل الصيد، في اليوم السابق سقطت أمطار غزيرة ملئت الوديان و الآبار و بقيت الأراضي مبللة لم تجف بعد، تقدم الأمير إيفان كثيراً إلى أن وصل قلب الغابة وفجأة مر بحصانه بين حصى كبيرة على حافة النهر فانزلق الحصان و لم يستطع التحكم في توازنه، سقط الأمير إيفان من على ظهر الحصان و من حسن حظه كان هناك حطاب قريب منه فأنقذه من موت محقق حيث كاد أن يموت غرقاً و يأخذه النهر، حمله الحطاب إلى منزله و هو لا يزال فاقداً للوعي، فأخذ يداوي جروحه

بمساعدة ابنته الوحيدة صوفيا و زوجته بعد ساعتين من الزمن بدأ يسترجع وعيه، صرخ الأمير إيفان صرخة لا شعورية و هو يهم بالنهوض: أين أنا الآن؟ و ماذا أفعل هنا؟ ماذا حصل لي؟ متعجبا و الآلام في جميع أجزاء جسده. ارتح يا ولد، فأنت في بيتي الآن في أمان يقول الحطاب. و لما سأله الحطاب عن اسمه و أهله قال له أنه الأمير إيفان ابن الملك نيكولاي فأدار رأسه و ضحك و هو ينظر إلى زوجته و يقول: مازال فاقداً للوعي، لكن الأمير واصل بروي قصته من أجل إقناع الحطاب و عائلته، و بعدها حكى له الحطاب ما جرى في هذه الحادثة التي كادت تؤدي به إلى الموت لولا لطف الله به، ذهب إلى زوجته و قال لها أعدي له طعاماً سأعود بعد أن أنهى عملي.

- الزوجة: هل استعاد وعيه؟
- الحطاب: لا أظن ذلك، مازال يقول كلاماً لم أفهمه، لست أدري أهو يهذي أم يراوغ في كلامه.
- صوفيا: ماذا يقول؟
- الحطاب: يقول أنه أمير في المملكة المجاورة، أبوه الملك نيكولاي.. (يضحك).
- صوفيا: ربما يكون على حق يا أباي.
- الحطاب: كيف يخرج الأمير لوحده من القصر؟ لا يمكن إلا أن يكون جاسوساً أو جندياً هرب من

القصر.. ابقى معه فجروحه عميقة و لا تدعيه ينهض،
سأكمل عملي خارجا و آتي حالا..

كانت صوفيا جميلة جدا فكل من يراها يعجز عن وصفها
بسبب ميزة جمالها،..

كانت تشبهك جمالا يا جوليا، تقول الجدة.

هل نمت؟

- جوليا: لا لا أكملني يا جدتي، أعجبتني القصة.

نعم إنها فتاة جميلة حقا، بقي الأمير عندهم ثلاث ليالٍ لم
يكرروا عليه الأسئلة: من أين أتيت؟ و هل حقا أنت ابن
الملك؟، فقد كانوا يقومون بواجبهم تجاهه وعلاجه، و لم
يقصروا حتى في العناية بحصانه، استرجع الأمير عافيته
وأصبح يستطيع الوقوف والمشي، حيث كان يراقب كل
صغيرة و كبيرة عنهم، أعجب كثيرا ببنت الحطاب صوفيا
لحيائها و جمالها فكانت لما تقترب منه لتداويه لا تستطيع
النظر إلى عينيه مما جعله يتمنى أن يراها دائما أمامه، و قبل
رحيله ترك لها قلادة مميزة مكافأة لها لأنه لم يكن يحمل مالا.

لم تظهر أخبار الأمير منذ خروجه من القصر لمدة أربعة
أيام، فانقلبت المملكة رأسا على عقب، قرر الملك أن يرسل
جيشا في اليوم الثالث للبحث عنه، لم يصله أي خبر فهل
سجن، أو قتل أم أكلته الوحوش، فلم يكن من عادته أن يغيب

كل هذه المدة، كان يبئيت ليلة واحدة و يرجع في اليوم الثاني قبل غروب الشمس على أكثر تقدير.

وصل الأمير إلى القصر معافا سالما، لم يصدق الملك البشرى فأراد أن يتأكد بأى عينيه و خرج مسرعا لاستقبال ولده، و بعدها حكى له ما جرى و كيف أنقذه الحطاب من الموت المحقق و كيف عالجه في منزله حتى أصبح قادرا على المشي.

- الملك نيكولاى: يجب أن نكرمه و عائلته يا ولدى.
- إيفان: نستدعيه لحضور عشاء الفرح معنا.

كان الأمير إيفان ينتظر بفارغ الصبر حضور صوفيا وعائلتها لكي يغتنم فرصة إعلان الزواج بها أمام الحضور.

بدأت عينا جوليا تذبذبان حتى أصبحتا ثقيلتين لا يمكنها رفعهما، فبدأت تسمع القصة و هي مغمضة العينين، لم تمر إلا مدة قصيرة حتى أخذها النوم، نظرت إليها الجدة:

جوليا...جوليا.. بصوت خافت.

هل نمت؟ ، حبيبتى..؟

كنت واثقة أنك لن تكلمى سماع القصة.

في اليوم الموالي قررت جوليا الذهاب إلى الكنيسة من أجل الصلاة و سؤال الرب ليسهل لها كل أمورها و يحفظها، كانت جوليا تزور الكنيسة كلما أحست أنها بحاجة إلى ذلك،

تقصدها مرتين أو أكثر في الشهر و كانت تفضل الذهاب إلى كنيسة القديسين "سانت سيمون و سانت هيلينا" أو كما تعرف: "Red Church - الكنيسة الحمراء" نظراً لبنائها بالأجر الأحمر الصغير الذي يرمز إلى الحزن، كما أن لها قصة مثيرة للاهتمام حول كيفية إنشائها، حيث قرر إدوارد فوينيلوفيتش أحد السياسيين المشهورين بناء هذا المعبد من أجل تخليد ذكرى ابنه المتوفين سيمون الذي توفي في سن الثانية عشرة، وابنته هيلينا التي توفيت في الثامنة عشر من عمرها، هذه الأخيرة تقول عنها إحدى الروايات أنها رأت رؤيا في منامها قبل وفاتها بوقت قصير عن الشكل الخارجي للكنيسة و التي رسمتها بعد أن استيقظت، كما أن إدوارد تحمل جميع تكاليف البناء و لم يقبل أي تبرعات من جهات أخرى، حيث استغرق بناؤها ثلاث سنوات بعد أن بدأت فكرة البناء عام 1897 و أجلت إلى عام 1905 نظرا لصعوبة تجسيد المشروع، تقع هذه الكنيسة بوسط المدينة بالقرب من مقر الحكومة في شارع " فوليتسا سوفيتسكايا رقم 15" بمينسك و التي تعتبر الآن من بين أشهر المعالم التاريخية في روسيا البيضاء و تعد معلماً ثقافياً أيضاً في مدينة مينسك ولسكانها لأنها توجد تحتها قاعة خاصة تقام بها العديد من المعارض والحفلات الموسيقية والعروض.

بعد أن أنهت جوليا صلاتها بالكنيسة و هي تهتم بالخروج وعند عتبة الباب رمقت عيناها أندري ميخائيلوفسكي قريباً من

باب الكنيسة يدخن سيجارة و يضع على عينيه نظارة سوداء،
يا إلهي ماذا أتى به إلى هنا؟! !!

حدّثت نفسها: ماذا أفعل يا إلهي، يجب أن لا يراني؟ أرجع
إلى الداخل أم أحاول تجاهله؟

غيرت طريقها لكي لا يراها و هي تمشي بخطى متسارعة
لكي تصل إلى الطريق الآخر، و في نصف الطريق سمعت
صوتا يناديها: جوليا.. جوليا..

حاولت تجاهله لكنه وصل إليها و أمسكها من ذراعها،
انتظري.. ما بك؟ ألم تسمعيني؟ ..

- جوليا: هذا أنت أندري.. ماذا تريد؟
- أندري: كيف ماذا أريد؟ لماذا لم تردي على رسائلي؟
ما بك؟
- جوليا: مزاجي لا يسمح هذه الأيام أحتاج إلى راحة. لا
أريد أن أكلّم أي شخص.
- أندري: ما رأيك أن نذهب للافطار معاً على حسابي،
هيا.. سيارتي موجودة هناك، و لنتحدث بهدوء و يتغير
مزاجك إلى الأحسن، ما رأيك؟
- جوليا: شكراً، و لكن غير ممكن الآن، فلنتركها لفرصة
أخرى، ليس لدي الوقت الكافي.

(يا إلهي كيف أتخلص منه؟ و يتركني أذهب لحالي؟) تقول في
قرارة نفسها.

تتهددت جوليا و أكملت مسيرها دون أن تفكر في تصرفها.

فقال أندري بلهجة صريحة شأن الماكرين الذين يعرفون جميع أنواع الخداع:

- سأحدثك بكل صراحة. تبدين اليوم جميلة جداً و لكن القلق يفسد عليك أشياء كثيرة، دعينا نقضي ما تبقى من اليوم سوية و أوصلك بالسيارة إلى المنزل، لقد اشتقت إليك كثيرا حبيبتى، و قلقت عليك هذه الأيام لعدم رذك عليّ،

رن هاتف جوليا في هذه الأثناء، قد تكون فرصة للتخلص من هذا الهراء الذي يصدع الرأس تقول جوليا في نفسها، أخرجت هاتفها من حقيبتها الصغيرة، إنه أبي، أعتذر، مرحبا أبي، أنا في الطريق لا تقلق... نعم أنا قادمة..

التفتت جوليا إلى أندري، أعتذر يجب علي الذهاب سنلتقي في فرصة أخرى، و أكملت طريقها.

كانت صدمة غير متوقعة بعد اطلاق محمد بالصدفة و هو يتصفح الفايسبوك أين وجد إعلانا تداوله الشباب في مجموعات خاصة بالزواج بالأجنبيات في تونس، " قانون جديد يشترط على كل جزائري أو جزائرية يريد الزواج من الأجانب أن تكون لديه شهادة إقامة بتونس"، ها هو الباب

الأخر ينغلق على الشباب مرة أخرى و الذي كان من قبل حلا عند كل من يريد الزواج بالأجنبيات حيث كانت تقدم لهم تسهيلات لعقد الزواج.

هناك عدة أسباب تجعلك تود زيارة أي بلد، فبيلاروسيا لها أسبابها أيضا بالنسبة للجزائريين و الاحتمال الأكبر هو الحرقة و البحث عن طريق جديد للتسلل إلى أوروبا مرورا على بولندا، أما الاحتمال الثاني بنسبة أقل من الأول هو الزواج و القليل من يختار الاحتمال الثالث و الرابع سياحة أو دراسة.

هذه الاحتمالات الأربعة التي طرحها محمد على زكرياء لكي يعرف نيته من زيارة بيلاروسيا و السبب الذي جعله يختار بيلاروسيا على الدول الأخرى، أربعة احتمالات أو أسباب رئيسية لزيارة بيلاروسيا اختار منها زكرياء الاحتمال الثاني و هو الزواج من فتاة بيلاروسية كان قد تعرف عليها بتونس و بقي على اتصال بها فكان دائم البحث عن حل للوصول إليها و ملاقاتها مرة ثانية أين كانا يخططان للزواج، زكرياء اتصل بمحمد بمحض الصدفة بعد قراءة منشوره في مجموعة: عرب بيلاروسيا، فنصح محمد إلى الطريق السهل والمضمون للحصول على دعوة رسمية تمكنهما من الخروج من الجزائر و الدخول إلى دولة بيلاروسيا بكل سهولة ألا و هو اختيار الاحتمال الرابع و هو الدراسة و التسجيل بالجامعة في بيلاروسيا.

- محمد: لقد قمت بالاتصال بإحدى الجامعات في مدينة مينسك و لكن للأسف تم الرفض بحجة أن لديهم مجموعات مكتملة، ولكنني بحثت مجددا على جامعة أخرى و راسلتهم، فقط أنتظر منهم الرد حول إمكانية الدراسة لديهم و ما هي شروطهم، فإذا كان الرد إيجابى أعلمك بذلك يا أخي.

- زكرياء: بارك الله فيك، من فضلك أريد أن أذهب في أقرب الأجال. و لم لا نذهب سويا،

- محمد: نعم، أنا بصراحة إذا كان الشخص يود الزواج أو الدراسة أساعده، أما إذا أراد الحرقه فلا، المهم ما يجب علينا فعله هو الصبر و أفضل وأسهل طريقة للوصول إلى بيلاروسيا هي التسجيل في جامعة بيلاروسية، فإذا قبلوا طلبنا ستكون فرصة جيدة، نسجل لدراسة اللغة الروسية مدة 6 أشهر و" نقضو صوالحاخو".

- زكرياء: إن شاء الله، ما ننسالكش خيرك.

تمر الأيام و ترسل جامعة بيلاروسيا الحكومية للمعلوماتية و الراديو إلكترونيك (Bsuir) БГУИР رسالة الكترونية مفادها إمكانية التسجيل من أجل الدراسة، فقط إرسال طلب وصوره عن جواز السفر و صورة شهادة البكالوريا أو شهادة تخرج من الجامعة، أما دفع المستحقات يكون عند الوصول، فاختيار جامعة بالعاصمة هو الحل الأمثل القرب من المطار وتوفر جميع المواصلات و القرب من جوليا. جامعة bsuir

التي تقع بموقع رائع بالعاصمة مينسك بشارع بروفكي P. Brovki. و التي تعد من بين أفضل الجامعات ببيلاروسيا ولها ترتيب جيد.

فما كان لمحمد أن لا يضيع الوقت و يغتنم الفرصة التي ربما لا تعوض، فأرسل صورة جواز سفره و صورة جواز السفر لزكرياء عبر الإيميل و بعد مرور عشرين يوم أرسلت الموظفة لهما القبول الجامعي و دعوة رسمية موقعة بمطار مينسك.

- محمد: سلام أخي زكرياء، لقد وصلني ايميل من الجامعة لقد أرسلوا لنا القبول الجامعي و الدعوة.
- زكرياء: خبر مفرح أخي، فلنحضر أنفسنا للسفر إذن، ما هي مدة صلاحية الدعوة؟
- محمد: 3 أشهر، في هذه المدة يجب أن نذهب.
- زكرياء: مشكلتنا الحالية هي المال.
- محمد: سنجمعه بإذن الله، أتصل بالأصدقاء و المعارف وأبيع كل ما يمكنني بيعه.
- زكرياء: شكرا أخي على جهدك، هذه الفرصة لا يمكن أن نخسرها، سنبقى على تواصل دائم.
- محمد: العفو، سأعلمك بأي جديد.

بعد شهرين أعلنت بعض الدول عن غلق مطاراتها وتعليق الرحلات الجوية و عدم استقبال السياح، أغلقت كل الأبواب إلا أبواب المستشفيات و السبب تفشي وباء غريب انتشر بسرعة رهيبية عبر العالم عن طريق العدوى، وضعت وسائل الإعلام في الصدارة، فسجلت عدة وفيات لعدم وجود لقاح ضده، حرب عالمية بيولوجية تعتمد على سلاح الفايروسات الهجينة، وفيات دون سفك دماء البشرية، حرب و تضارب في الأسعار، تلاعب بالسياسة من طرف الدول التي تعد المصدر الأول للنفط في العالم، فمن يصنع لقاحاً لهذا الوباء سيكون الأقوى، مصطلحات جديدة: إجراءات احترازية، التعقيم، التباعد الجسدي، حجر منزلي، التعليم عن بعد، تقنية التحاضر عن بعد، كما ظهرت تجارة الكمادات و المعقمات و بارت جل أنواع السلع في السوق..

أعلن رئيس الوزراء الإيطالي في خطاب متلفز له، أن السلطات قررت إغلاق كافة المحلات التجارية باستثناء الغذائية منها والصيديات، وسيتم أيضا إغلاق صالونات التجميل ومحلات الحلالة، أما الحانات والمطاعم فسينبغي عليها ضمان مجال الفصل بين الزبائن لمسافة لا تقل عن متر واحد، وسيتم إغلاق تلك المحال التي لا تلبي هذه المطالب.

و يأتي ذلك على خلفية ارتفاع قياسي لعدد الوفيات بسبب هذا الداء الغريب، حيث تم تسجيل 196 حالة وفاة خلال يوم واحد، ليصل العدد الإجمالي للمتوفين في إيطاليا إلى 827 شخصا.

في الدنمارك أعلنت رئيسة الوزراء إغلاق كافة المؤسسات التعليمية بما فيها المدارس والجامعات ورياض الأطفال لمدة أسبوعين، كما دعت الشرطة الدنماركية السكان للامتناع عن تنظيم تجمعات لأكثر من مائة شخص.

أما فرنسا فأكد وزير الصحة أن عدد المصابين بالوباء وصل إلى 2281 شخصا، مشيراً إلى أن 105 مصابين في حالة خطرة ومتواجدون في العناية المركزة.

وعلى الجانب الآخر من المحيط الأطلسي، أعلنت سلطات بنما تعليق عمل كافة المدارس لمدة عشرين يوم على الأقل خوفاً من انتشار الوباء، فيما سيتم تعليق الدراسة في بعض المناطق إلى شهر كامل، ويأتي ذلك بعد تسجيل أول حالة وفاة جراء هذا الداء في البلاد.

وفي كوستاريكا تم تسجيل قفزة كبيرة في عدد المصابين الذي ازداد من 53 إلى 102 حالة.

إجراءات احترازية طبقتها جميع دول العالم فأعداد المصابين في تزايد مضاعف، حيث أصبح غير ممكن الخروج من بلدك و الدخول إلى دولة أخرى، حتى وإن كنت متحصلاً على فيزا و بعض المدن غُلقَت تماماً و حُصر التجول فيها من أجل احتواء الوباء خشية انتشاره في مدن أخرى.

صدت كل الأبواب في أوجه الشباب مع صعوبة اقتناء تأشيرات الدول و استحالة السفر من هنا إلى هناك، فهل مفروض عليهم الشقاء و البقاء في مكان يشبه السجن؟ العشرية السوداء، عشرينية العصابة، سنوات عجاف و ظهور مرض غريب يرعب العالم أجمع.

هلع في أوساط المجتمع و مصير مجهول حتى صار الكل يشك في نفسه و في أي شخص يعطس أمامه أو يرتدي قناعا من أجل وقاية نفسه...

قال الله تعالى: " وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا " .

سورة الجن، آية 10

قد تنطبق هذه الآية على هذا الزمن مجهول النتيجة و السبب .

التقى محمد توفيق مرة في المقهى المعتاد و كأنه أراد أن يحكي همومه لصديقه، ضاقت به الدنيا و أقفلت أبوابها عليه .

- محمد: أتتذكر ذلك اليوم الذي كنا هنا بهذا المكان أين تقدم إلينا رجل يهذي بكلام غير مفهوم؟ كان همه الوحيد سيجارة لا تغادر أصبعيه يستأنس بها..
- توفيق: نعم تذكرته، تقصد ذلك المتشرد المجنون؟
- محمد: نعم، أتدري؟ صورته دائما في ذهني، أتذكر كلامه دائما، كنت أتعجب كيف لمجنون يقول كلاما فيه حكمة، في البداية كان يظهر لي كلامه فارغا لا معنى

له و بعد مدة أصبحت أسترجع كل ما قاله لنا فأجده
قال صوابا.

- توفيق: صحيح، كنا نعتقد ذلك، بعد أن حكمنا على
الرجل من خلال لباسه، غريبة هي الحقائق التي تخرج
من أفواه المجانين و حتى على السنة البراءة أحيانا،
أصبحنا لا نعيدها اهتماما فلا يمكن الاستفادة منهم،
أصبحنا نتكبر على من هم أفضل منا و لا ندري.
- محمد: و الله أجزم أنه إنسان عاقل كان يكتسب من
خبرة الحياة ما لا يملكها الكثيرون، مما جعلته يقول
كلام الحكماء و العقلاء.
- توفيق: صحيح، في الحقيقة لم أنتبه له، كان يحذرنا من
الصحة السيئة و أن لا نثق في أحد

كان يحفظ رباعيات عبد الرحمان بن مجدوب:

سافر تعرف الناس *** و كبير القوم طبعه

كبير الكرش و الراس *** بنصف فلس بيعه

- محمد: كنا نستهزئ به و نضحك، و كأنه أرسل لنا
خصيصا، اختارنا نحن فقط في المقهى، و كأنه كان
يعلم ما ذا كنا نخطط له، هههههه
- توفيق: ماذا كنت أنت تخطط له مع الجماعة، هههههه
- محمد: هههههه

ردد أيضا:

الدنيا مثلتها دلاعة *** تتكرب وسط الدلاع

الحاذق يعطي معاها ساعة *** و الجايح تديه قاع

- توفيق: أتعجب من الذين يضعون سماعات الأذن طول الوقت و عندما تسأله يقول لك: لست أبالي بالناس و لا أريد سماع أحد، و يظن نفسه مثقفا. ههههه لا يمكنه مجالسة حتى هذا الذي نعتبره مجنوناً.

- محمد: يا ترى هل الناس تبالي به و تحسب له حساباً؟ ههههه مثلهم مثل الدف الذي يسمع من بعيد و جوفه خال. يا ليتنا نستفيق من حالنا المريض.

- توفيق: أتعلم يا محمد؟ جرحنا يجب أن نعالجه بأنفسنا. والله أحس بحالك و بالمرحلة القاسية التي تمر بها، ما عليك إلا بالصبر. سأقول لك شيئاً يا محمد تذكره دوماً، نحن نريد أن نهاجر إلى أوروبا، و لكن سيأتي يوم يحلم الأوروبيون بالهجرة إلى البلدان الإفريقية.

- محمد: أطلنا الجلوس هنا، لا أطيق الجلوس كثيراً عندما يكثر التدخين، فلنكمل الحديث خارجاً.

بينما هما يمشيان يقول محمد و هو واضع يده على كتف توفيق:

- المهم لا يمكنني العيش هنا أكثر، إذا يسر لي الله الخروج من هذا البلد سأرجع إليها ضيفاً.

- توفيق: هههههه إلى أي بلد ستذهب؟

- محمد: هذه المرة إلى بيلاروسيا، عندي دعوة رسمية من الجامعة، هكذا سأدرس اللغة الروسية و أجرب حظي.. على الأقل لو عدت أكون قد استفدت من تعلم اللغة الروسية.

- توفيق: بلد الحسنات؟ هههههه، تتعلم الروسية أم تنزوج بالبيلاروسية؟ هههه

يطمس التاريخ كلاماً بلا معنى و يترك ذنباً مترسبة في القاع.. تكاد تختفي من الذكريات، لكن لا يمكنها التخفي عند صدور الحقائق يوم يعتلي الوعي القمة مع الحق، فنتزاحم تلك الأفكار داخل الرأس و تبقى الأيام تعاتب و تعاتب فلا أوامر يومئذ، يستحي الجسد كله أمام البشرية و يختبئ وراء ستائر الرومنسية، أوجاع لا ينبغي الإفصاح عنها فتبقى تسبح وسط صمت رهيب و بين الملامح الوحشية، ذهب تلك الظنون أدراج الرياح الخالية وكأنها في أثواب بالية.

- زكرياء: مرحباً، كيف نعمل الآن محمد؟ هل بيلاروسيا أغلقت الحدود؟

- محمد: نعم أغلقت الحدود و لكن الذين يأتون عن طريق المطار بإمكانهم الدخول بشكل عادي، لا يفرضون عليهم أدنى شروط.

- زكرياء: يعني مشكلتنا الحالية تكمن هنا؟

- محمد: نعم، و لكن لا تقلق، الطلبة و المقيمين و الذين لديهم فيزا لم الشمل لا يمنعونهم من الخروج. قل لي كم وجدت ثمن الفيزا مع الخطوط التركية؟
- زكرياء: بعد أن أرسلت لهم الدعوة للتأكد منها مع المصالح المعنية بمطار مينسك، قالوا لي بإمكانك شراء التذكرة مع الخطوط الجوية التركية، و التي زادت بأضعاف للأسف، وقلت الرحلات الجوية كما بقيت رحلة واحدة في الأسبوع.
- محمد: نحل مشكلة تأتي بعدها مشاكل أخرى، يا إلهي...
- زكرياء: كيف نفعل الآن؟
- محمد: لا تقلق، دع الأمر لله..
- زكرياء: لم يتبق إلا خمسة و عشرون يوم من صلاحية الدعوة.
- محمد: سأحاول أن أقترض مالا من عند صديقي.

ليلة السابع و العشرين

*مهما خدمت البشر، و مهما ضحيت من أجلهم فلا تنتظر
منهم عرفاناً للجميل.

ليو تولستوي

بدأ الشتاء يطوي صفحاته الأخيرة و يكشف بين الفينة
والأخرى دفاتر الربيع الدافئ في شوارع بيلاروسيا حيث
مازالت زخات المطر الباردة و أزهار تحاول الظهور
والانفتاح بشدة لتستقبل الربيع بكل الألوان الفاتحة منها
والداكنة، ألوان في السماء ترتمي على القوس و ألوان في
الحدائق و البساتين فترى صباحا أناسا يخرجون كالنمل من
جحورهم، معظمهم طلبة أجانب تمتلئ بهم الحافلات
فيمتزجون مع أصحاب المدينة البيلاروسية و فتياتها اللواتي لم
يمنعهن البرد من لبس القصير فيغرنك جمالهن، و تشتهيهن
حتى أنك تريد لمسهن من شدة لطافتهن و صفاء جلودهن.

بدأ يظهر الحمام في الأماكن العامة و التي اعتاد أن يجتمع
فيها مع الغراب و العصافير الصغيرة ليقتسموا بعضا من بقايا
الخبز و البذور التي تناثرت من أيادي الأطفال و الكبار رغبة
منهم في إطعام الطيور.

أما في الجزائر تلك الأيام كانت أكثر دفئا و أكثر رتابة،
فالمدينة التي يقطن بها محمد كانت تشبه القرية في سكنها

تدهورت المعيشة و نقصت التجارة و أغلقت فضاءات الراحة والترفيه كأنها أطلال حرب مرت بها، فلا طيور تنزل الأرض و لا ققط تفتتات براحتها فتراها دوما في شجار بينها، أما الكلاب فهي مشردة تتكاثر في هذه الأيام و تصبح مؤذية لا فائدة منها، فتضطر السلطات للتخلص منها بعد استدعاء الصيادين لقتلها في شوارع المدينة ليلا.

كان محمد في تلك الأيام يشعر بنوع من الأرق و الكتمان الذي جعله يقرر أن ينهي قصته مع جوليا برسالة أخيرة والتي أخذت من الوقت أكثر من ساعة لكتابتها ليس لطولها و إنما لمعناها و صعوبة إرسالها، رسالة أصعب من كتابة رواية أو مقال علمي.

السلام عليكم،

أعتذر عن كل ما جرى بيننا، آسف لأنني أزعتك كثيرا لم أكن أقصد أذيتك، يجب أن تعلمي أنني كنت أريد أن أقول لك شيئا يوما ما ولكن للأسف الآن أصبح غير ممكن لكن سأبقى أتذكرك دائما وأبدا، في كل وقت و كل حين، سأتوقف عن التواصل معك.

مع السلامة.

رسالة كتبت في غير وقتها و كأنها منشفة رماها المدرب فوق الحلبة من أجل إنهاء المقابلة دون أضرار جسيمة قد تقع

في الجولة الأولى، ألم يكن بإمكانه أن يصبر قليلا لعل الأمور تعود لمجراها ويتمكن من السفر إليها فتقبله زوجا لها.

ها قد آن الأوان لمغادرة تلك المواقع اللعينة زرقاءً كانت أم برتقالية و حتى تلك البنفسجية.

بقي ذلك السرب من الطيور البيضاء يحوم في سماء شديدة الصفاء ذات لون أزرق... و بياضٌ يتحرك فيبدو كغيومٍ تدفعها رياح عاتية، فما هي إلا طيورٌ مهاجرةٌ تكتشف المكان و لكنها تمر فوق قصور خالية و واحات نخيل أضحت أعجاز نخل خاوية، فلا يمكنها أن تستقر هنا لا شيء يجذبها للبقاء.

محمد كان قلقا كثيرا حتى أنه لم يكن يستطيع الكلام و لا الأكل، لم يكن يتخيل يوما أن ينتهي به الحال إلى أن يخسر علاقة طالما كانت أمله الوحيد، فتاة مثل جوليا مطمع للكثيرين فمن يفوز بقلبها يا ترى؟، ألم يكن الأجدر أن يتصارحا في البداية لكي لا يبقى كل منهما يحلم كل هذه المدة الطويلة؟، من كان يسرق وقت الآخر؟ ..

أراد محمد بقراره وضع حد للحمل الثقيل الذي كان يتبعه، فكان يرى أنه ليس هناك حل يرضيهما إلا حل واحد و هو الفراق بعد أن سدت كل الطرق و أغلقت كل الأبواب واستحال السفر، هل ما كان يفكر فيه هو الواقع؟ ربما منظره الضيق حجب عنه رؤية الحقيقة و الصواب، لكن بالرغم من كل شيء مازال مقتنعا أنه على حق.

أما جوليا كانت قاسية على نفسها بعنادها و تعنتها و عدم إبداء رأيها و عدم إظهار أحاسيسها اتجاه محمد، فلم يكن يفهم منها هل لديها رغبة في إكمال العلاقة معه و تتويجها بالزواج أم أنها متخوفة من الخوض في هذه التجربة الجديدة مع عربي يختلف تماما عن ثقافة الأوروبيين أو البييلاروسيين، طريق مسدود وقلب مقفل.

ليلة من الصعب عليك أن تعيشها و أنت تكتب آخر رسائلك لشخص ما، تركز على كل حرف و كل كلمة تكتبها "كأنك ذلك الجندي الذي يترك وصية تحت وسادته و لا يدري هل يعود أم لا"

إنها ليلة عزاء

ليلة غارقة بالبكاء

إنها ليلة الفراق

ليلة يغيب فيها النوم، يغيب فيها العناق

يخيب الأمل، يفترق الرفاق

خيبة أمل أم خطأ في الاختيار

يا نسيم الريح

كيف تشفي أغلال مريض بالحب

يأتي طبيب حينا و يزوره طبيب حينا

يؤكد أن الشفاء مستحيلا

أوجاع قلب بين الموت و الرحيل قريبا

ألم تكفيك رؤية الآلام... ليبقى عاشقك حزينا

يا لها من صدف... حتى أصبح الدهر عقيما

من يشفع لك و الذكريات أصبحت رفيقا

ما أصعب التفكير فيك بروحي التي أصبحت رقيبا.

لم تتوقع جوليا أن تستقبل رسالة ثقيلة من محمد فكانت
تقرأها و تعيد قراءتها، وتحاول فهم مغزاها و ما بين سطورها
وأحرفها، رسالة تبين مدى اليأس الذي أصاب عاشقها الذي
تأكد أنه لم ولن يلتقيها أو يتزوجها لأنه كان كلما أراد أن يتقدم
تسد الأبواب في وجهه كان يحس أنه في سجن كبير لا يمكنه
التحرك فيه بكل حرية و الخروج منه بأريحية.

هل كانت حقا رسالة تعلن عن نهاية لقاء لم يبدأ بعد،
رسالة ثقيلة و طويلة بمعناها تصل في يوم عيد ميلادها السابع
و العشرين، لا هدية و لا رسالة غير هذه الكلمات الإلكترونية
الملعونة، فهل ستبقى تقرأها و تعيد قراءتها أم ترد عليها؟،
وما الفائدة من ذلك وقد اتخذ القرار.

انطباع...

محمد لم يستطع جمع المال الكافي لشراء تذكرة الطائرة لأنها باهظة الثمن و زكرياء قرر الذهاب دون محمد و لكن عند دخوله المطار اشترطوا عليه فحوصات طبية و تحاليل للتأكد من عدم إصابته بالفيروس الخطير فألغيت رحلته بسبب عدم توفر وثيقة PCR، التزامات صارمة تفرضها الشرطة وشركات الطيران بالمطارات.

بعد أن التقت جوليا صديقتها كريستينا بمطعم ليدو Lido وهما خارجتان قالت لها كريستينا: نسيت أن أقول لك أن محمد أرسل بريدًا إلكترونيًا يود التسجيل للدراسة في القسم التحضيري.

- جوليا: ماذا؟! ماذا تقولين؟!
- كريستينا: اعتذرت له، أنه لا يمكنه الدراسة بحجة أن التسجيلات انتهت و المجموعات اكتملت.
- جوليا: متى حدث هذا؟
- كريستينا: حوالي شهرين أو أكثر، هل كنت تريدنه أن يأتي؟
- جوليا: نعم، تمنيت أن ألتقيه يوماً، يبدو شاباً خلوفاً ومتثقفاً.
- كريستينا: سامحيني و لكن ...

- قاطعتها جوليا: و لكن ما ذا؟ محمد لا يأتي هنا لأجل الهجرة غير الشرعية، محمد أت إلى هنا من أجلي، هل تعلمين أنه عرف بيلاروسيا بسببي؟ هل تعلمين أنه لو أتى إلى هنا في أول لقاء سيطلب الزواج مني؟ هل تعلمين أنه أرسل لي رسالة أخيرة و قطع معي الاتصال عبر كل المواقع و لم يكن بإمكانني حتى الرد عليه، لم أفهم السبب، لم أكن في السابق أعره اهتماما، هل تعلمين أنني نادمة على طريقة تعاملني معه..

- كريستينا: أسفة جوليا حبيبتني،
- جوليا: أتذكر جيداً عندما أرسل إلي التمر و رسم وجهي. تزامن ذلك مع عيد ميلادي السادس والعشرين لن أنسى تلك الهدية المميزة أبداً.
- كريستينا تعانق جوليا: لا تبكي حبيبتني، أعتذر إليك ولم أقصد إيذاءك، كنت أظن أنك تحبين أندري، سامحيني.

....

عزم محمد في الأخير بأن يخلدها في لوحاته و يؤكد لها بأنه يحبها فكان دوماً يتمنى أن يقول لها كلمة: " أحبك " يوماً ما، كان يفضل أن يقولها عندما يلتقيها وجهاً لوجه أو يقترب منها و يهمسها في أذنها لكي لا يسمعها غيرها، لعلها تصدقه، لم يكن باستطاعته يوماً أن يرسل لها هذه الكلمة ضمن الرسائل الإلكترونية و كأنه يقدس كلمة "أحبك" و لا يريد أن يمتزج في وسط مليء بالكلمات اللطيفة فتغير معناها أو

تُدخل الشكوك في عشيقته، و الآن ليس بإمكانه أيضا أن يقولها لها وجها لوجه إلا إذا حدثت معجزة فيلتقيا يوما.

كان يغازلها دائما في رسائله و يعبر عن إعجابه بجمالها الفاتن و شخصيتها المميزة، أقسم لها أنه لن ينساها أبدا ووعدها أنه ستأتي الأيام و يذكرها فيها و في جميع زيارته ورحلاته، و قال لها أيضا أنه سيكلم نجوم الصحراء عنها و نجوم البحار و كل بلد و طئت أقدامه، حتى أصبح يلقي بمشاعره و أشعاره في كل سماء يحلق بها، كان يذكرها باسمها و ينثر حبه لها كزرع لعله سينبت له شهودا في كل أنحاء العالم.

سيبقى يمشي كاشفا عن الأسرار التي كانت بينهما، سيعيد كشف الأسرار للنجوم و البحار و الغيوم أيضا أينما رحل وارتحل.

* لا يمكن لأحد أن ينسى لحظة الوداع أو بالأحرى ليلة الوداع.

* ليس هناك منقض بمحكمة العشاق.

* من كان يرى بعينه و يبصر بعقله و يستمع إلى قلبه لا يمكنه أبداً أن يستسلم لأمر الواقع و المفروض.

* أيام الوداع أو الأيام الأخيرة قد تكون نهاية أيام الفقر و بداية المستقبل بحلة جديدة.

* ليس كل ما نتمناه يحدث، فالله وحده الذي عندما يقول للشيء
كن فيكون.

* بين الأرق و الكتمان حكايات في طي النسيان.

النهاية

تمت بعون الله

الفهرس

5 الانطباع الأخير
9 عيد الميلاد السادس و العشرين
17 غربة الذات و البحث عن الاستتناس
29 الزواج
55 الحرقه
69 التهيؤ
101 ليلة السابع و العشرين
107 انطباع